مجلة البيان – العدد 13 ، ذو الحجة 1408 هـ / أغسطس 1988م

الافتتاحية

عواقب التبذير

هـل المـسـلـمـون فقـراء ؟ وهل صحيح أن الله حرمهم حيـث وسَّع على غيرهم؟ ، سـبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

إن فضل الله على المـسـلمـين لا حـدود لـه ، ولا يحـيـط به وصف ، وإن ما حباهم به من الخير تتحلب له نفوس غيرهم ، وتتكالب على الظفر ببعضه القُوى من شرق وغرب.

إذن ، فما سر هذا الضنك الذي يعيش به المسلمون ، ومـاذا وراء هـذا الهـوان الذي يلفُّهم حينما تُطرح قضاياهم على موائد المساومات؟!

إن هذا السؤال يقضّ مضجع كل مَن يحمل قلباً من المسلمين ، ويؤرقه ليل نـهـار بحثاً عن الجواب.

وعلى كثرة الأجوبة وتشعبها ، ومن خلال تجميع الأسباب للخروج بنتيجة يمكن إبرازها ؛ فـإن هـنـاك ظـاهـرة تصـب في أسـبـاب الـضـعـف والـتـراجع ، ألا وهي ظاهـرة التبذير
والإسراف.

وحينما نقول: ظاهرة ؛ فإننا نعني أن الأمر خرج عن أن يكون مسلكاً فردياً لقلة من الأفراد لا تأثير لهم في المجتمع الكبير. ولو كان الأمر كذلك لما استحق أن يُنَوَّه به كسبـب رئـيسي من أسباب التخلف والانحطاط.

ونـريـد أن نـتـقدم خطوة أخرى فنقول: إن من شأن البعيدين عن هدْي الإسلام والقرآن إذا اغتنوا أو ملكـوا شـيـئـاً من أسباب القوة أن يدفعهم ذلك إلى الإسراف والبطر والتعالي على خلق الله ، وعيش اللحظة الراهنة دون تفكير بالعواقب ، ولا وضْع النهايات في الاعتبار.

ولكن حديثنا لن يتجه إلى هؤلاء ، وإنما يعنينا أن نتوجه إلى من يفترض فيهم بُعد النظر ، وعدم الاغترار باللحظة الـعـابـرة ، وهم الـذيـن يهـمـهـم أمـر المسلمين ، ويعيشون من أجل الفكرة الإسلامية ، لها يعملون ، وفي سبيلها يضحون.

يحسن بالمسلم أن يفرق بين الكرم - الذي هو خلق أصيل من الأخـلاق الإسـلامـية - وبين التهور في التبذير.

فكثير من فضلاء المسلمين يدفعهم الخوف من وصفهم بالبخل ، وحرصهم على أن يوصفوا بالكرم إلى أن يتكلفوا في المأكل والمشرب والملبس والمركب ، ويقلدوا من يطفون على صفحة المجتمع من محدثي النعمة ،

وعندما تتحول القيادة الفكرية في مجتمع ما إلى مثل هؤلاء الذين يضربون أسوأ الأمثلة للآخرين ، في غيبة المبادىء التي تعمل على تماسك المجتمع في وجه الرياح التي تهب عليه من كل جانب ؛ فأي خير يبقى في الحياة ، وأي أمل في تحسن الأحوال؟!

إن المجتمع المسلم بحاجة إلى مثل أعلى في هذا المجال غير من تمــلأ أخـبارهـم أعـمـدة الصحف والمجلات ، مثل أعلى في الحكمة والتعقل في مجال الإنفاق ، والبعد عن تضييع الأموال في ما لا يُجدي.

وعلى عقلاء المسلمين الانتباه إلى حسن التدبير والنظر إلى مستقبل الدعوة الإسلامية ، فهذه الدعوة إذا تحسن حالها بما يبذله المحسنون في سبيلها عن طريق التبرع والإحسان ؛ فإن حالها سيكون أحسن إذا قامت مشاريع ومؤسسات صلبة قادرة على الـوقـوف بذاتـهـا دون الاعتماد المتواصل على الصدقات والهبات - وهذا ليس تعريضاً أو تشهيراً بالصدقات - وأول خطوة في سبيل ذلك أن ينهض بهذا الأمر أناس ينفرون من المظاهر ، ويتحرون البعد عن التنطع الذي يمحق البركة.

فـالـبـركة في المفـهـوم الإسلامي ليست أمراً خيالياً يصعب تعليله ، وإنما هي ثمرة الجهد الذي يصدر من أنـاس أخلـصـوا نـيـتهم لله ، وتبرؤوا من كل حول وطوْل إلا من الاعتماد عليه في كل شأن من شؤونهم ، وبذلـوا وسعهـم ، وحـيـن يعـلـم الله - سبـحـانه - صدق تجردهم ، وبذلهم جهد طاقتهم يجعل الله لقليلهم ثمرة ، ويـبـارك جهدهـم ، كـمـا قـال تعالى: ((لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُـهُ فَلْيُنفِقْ مِـمَّا آتَـاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً))[الطلاق:7].

فما بالك بالكثير المثمَّر؟ ، في حين يمحق - سبحانـه - جـهـود من يحادّونه ويصدون عن سبيله ولو كان القناطير المقنطرة التي تُنفق من أجل ذلك ؛ مـصـداقـاً لقوله - عز وجل -: ((إنَّ الَذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ والَّذِينَ كَفَرُوا إلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ))[الأنفال:36].

إننا لا نأتي بجديد إذا دعونا المسلمين إلى الاقتصاد في النفقة والـبعـد عن تبديد نعمة الله فيما لا يعود بالفائدة ؛ فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتـصـموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال" [رواه مسلم 5:130].

وما لم يعلنها المسلمون - وأخص العرب مـنهم الذين أكرمهـم الله بـهـذا الـديـن ، وامـتـنَّ عليهم بأن جعلهم في سرة العالم ، وأتمـنهم على تبليغ هذه الرسالة للعالمين - أقول: ما لم يعـلنـهـا المسلمون حـربـاً على الـتـبذير في كل مجال فإن اليوم الذي ستغزوهم فيه منظمات الإغاثة قريب ، والساعة

التي ستجعلهم في عـداد الـدول التي تتناوشها هذه المنظمات من كل جانب ، والبنك الدولي من جانب آخر تلوح في الأفق ، ومن يدري عندها ؟ فقد يحقق هؤلاء فتنة المسلمين عن دينهم ، وهو ما عجزوا عن تحقـيـقـه قـبلاً بقوة السلاح ، وأمامنا أمثلة حية من بنغلاديش وموزمبيق والحبشة وغيرها.

مجددون معاصرون

رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخ عبد الحميد بن باديس

في مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ، ومن أسرة عريقة في المجد والثراء والعلم وُلد الشيخ عبد الحميد بـن بـاديـس عام 1308 هـ/1889م ، فهو ينتسب إلى الأسرة الباديسية المشهورة في التاريخ . فالـمـعـز بن بـاديـــس (406-453) هــو الذي أبعد النفوذ العُبيدي (الفاطمي) عن المغرب ، وعمل على تنظيم انـفـصال المغرب الإســلامي سياسياً ومذهبياً عن الحكم العبيدي ، وحارب الشيعة الرافضة في إفريقـيـة ، وحمل الناس على اعتناق المذهب السني ، وكان الشيخ عبد الحميد يفتخر بأعمال هذا الجد ، أما والده محمد المصطفى فهو من كبار الموظفين والوجهاء في قسنطينة ، وعضو المـجـلــس الجزائري الأعلى ، وقد عرف دائماً بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين في قسنطينة ، يقول عنه ابنه:

"إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صــالــحــة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ، ومشرباً أرده ، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشـنــي وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً.."(1).

فهذا الوالد لم يحاول ثني الشيخ عن أي عمل يقوم به في الدعوة كعادة الآباء الذين في مثل وظيفته ووجاهته ، كما أنه لم يُلحِقه بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة.

نشأ ابن باديس في بيئة علمية، فقد حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم تتلمذ على الشيخ (أحمد أبو حمدان الونيسي)، فكان من أوائل الشيوخ الذين لهم أثر طيب في اتجاهه الـديـنـي ، ولا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له: "اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة"، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا.

في جامع الزيتونة:

في عام 1908 قرر ابن باديس - وهو الشاب المتعطش للعلم - أن يبدأ رحلته العلمية الأولى إلى تونس ، وفى رحاب جامع الزيتونة الذي كان مقراً كبيراً للعلم والعلماء يُشبه في ذلك الأزهر في مصر. وفي الزيتونة تفتحت آفاقه ،

وعبّ من العلم عبًّا ، والتقى بالعلماء الذين كان لهم تأثير كبير في شخصيته وتوجهاته، مثل الشيخ محمد النخلي الذي غرس في عقل ابن باديس غرسة الإصلاح وعدم تقليد الشيوخ، وأبــان لــه عـــن المنهج الصحيح في فهم القرآن. كما أثار فيه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حب العربية وتذوّق جمالها ، ويرجع الفضل للشيخ البشير صفر في الاهتمام بالتاريخ ومشكلات المسلمين المعاصرة وكيفية التخلص من الاستعمار الغربي وآثاره.
تـخـرج الــشـيخ من الزيتونة عام 1912 وبقي عاماً آخر للتدريس حسب ما تقتضيه تقاليد هذه الجامعة ، وعندما رجع إلى الجزائر شرع على الفور بإلقاء دروس في الجامع الكبير في قــسـنـطـيـنـة، ولكن خصوم الإصلاح تحركوا لمنعه، فقرر القيام برحلة ثانية لزيارة أقطار المشرق العربي.

في المدينة النبوية:

بعد أداء فريضة الحج مكث الشيخ ابن باديس في المدينة المنورة ثلاثة أشهر ، ألقى خلالها دروساً في المسجد النبوي ، والتقى بشيخه السابق (أبو حمدان الونيسي) وتعرف على رفيق دربه ونضاله - فيما بعد - الشيخ البشير الإبراهيمي. وكان هذا التعارف من أنعم اللقاءات وأبركها ، فقد تحادثا طويلاً عن طرق الإصلاح في الجزائر واتفقا على خطة واضحة في ذلك. وفي المدينة اقترح عليه شيخه (الونيسي) الإقامة والهجرة الدائمة ، ولكن الشيخ (حسين أحمد الهندي) المقيم في المدينة أشار عليه بالرجوع للجزائر لحاجتها إليه ، فكانت خير نصيحة. زار ابن باديس بعد مغادرته الحجاز بلاد الشام ومصر واجتمع برجال العلم والأدب وأعلام الدعوة السلفية ، وزار الأزهر واتصل بالشيخ بخيت المطيعي حاملاً له رسالة من الشيخ (الونيسي).

العودة إلى الجزائر:

وصل ابن باديس إلى الجزائر عام 1913 واستقر في مدينة قسنطينة ، وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه ، وهو إنقاذ أطفال المسلمين وشبانهم من هوة الجهل والتخلف ، فبدأ بدروس للصغار ثم للكبار ، والمسجد هو المركز الرئيسي لنشاطه ، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين والتي تحدثنا عنها في العدد السابق ، ولكن نشاط الشيخ كان متعدداً ، واهتماماته كثيرة لا يكتفي أو يقنع بوجهة واحدة ، فاتجه إلى الصحافة ، وأصدر جريدة (المنتقد) عام 1925 وأغلقت بعد العدد الثامن عشر ؛ فأصدر جريدة (الشهاب) الأسبوعية ، التي بث فيها آراءه في الإصلاح ، وخاصة إصلاح عقائد الناس من الخرافات والدجل وأساليب الطُّرُقيين ، واستمرت كجريدة حتى عام 1929 ثم تحولت إلى مجلة شهرية علمية ، وكان شعارها: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها" ، وتوقفت المجلة في شهر شعبان 1328هـ / أيلول عام 1939م بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وحتى لا يُكتب فيها أي شيء تريده الإدارة الفرنسية تأييداً لها ، وفي سنة 1936 دعا إلى مؤتمر

إسلامي يضم التنظيمات السياسية كافة من أجل دراسة قضية الجزائر ، وقد وجه دعوته من خلال جريدة (لاديفانس) التي تصدر بالفرنسية ، واستجابت أكثر التنظيمات السياسية لدعوته وكذلك بعض الشخصيات المستقلة ، وأسفر المؤتمر عن المطالبة ببعض الحقوق للجزائر ، وتشكيل وفد سافر إلى فرنسا لعرض هذه المطالب وكان من ضمن هذا الوفد ابن باديس والإبراهيمي والطيب العقبي ممثلين لجمعية العلماء ، ولكن فرنسا لم تستجب لأي مطلب وفشلت مهمة الوفد.

إن هذه الدعوة للمؤتمر وحضوره ، وذهاب وفد العلماء إلى فرنسا كانت اجتهاداً من ابن باديس - رحمه الله - يرى فيه مصلحة الجزائر ولكن يجب الاعتراف هنا بأن هذه الخطوة كانت خطأً وبشتى المقاييس التي تقوّمه سابقاً ولاحقاً ، وتد أصاب الأستاذ مالك بن نبي عندما اعتبر هذا المؤتمر نقطة ضعف في شخصية العلماء حين لجأوا إلى الأساليب غير المجدية ؛ لأنها أساليب الضعفاء للحصول على فتات الموائد.

واستغل السياسيون هذا المؤتمر ليصلوا إلى أهدافهم الهزيلة ، وأما غير مالك بن نبي ممن يهاجم جمعية العلماء - فهم في الحقيقة لا يتقون الله في خصوماتهم ، ويتكلمون من منطق الحقد والخصومات السياسية الشخصية.

ومثل هذا الخطأ من ابن باديس لا ينبغي أن يحجب عنا العمل العظيم الذي قام به وهو قيادة جمعية العلماء منذ تأسيسها عام 1931م وحتى وافاه الأجل عام 1940م ، وفقدت الجزائر بفقده عالماً مجدداً ومصلحاً مربياً ، وضع كل جهده وإمكاناته لرفع شأن المسلمين في الجزائر ، ولم يشغله ذلك عن أوضاع المسلمين في كل مكان.

العوامل المؤثرة في شخصية ابن باديس:

لا شك أن البيئة الأولى لها أثر كبير في تكوين شخصية الإنسان ، وفي بلد كالجزائر عندما يتفتح ذهن المسلم على معاناته من فرنسا ، وعن معاناته من الجهل والاستسلام للبدع - فسيكون هذا من أقوى البواعث لأصحاب الهمم وذوي الإحساس المرهف على القلق الذي لا يهدأ حتى يحقق لدينه ولأمته ما يعتبره واجباً عليه ، وكان ابن باديس من هذا النوع ، وإن بروز شخصية كابن باديس من بيئة ثرية ذات وجاهة لَهو دليل على إحساسه الكبير تجاه الظلم والظالمين ، وكان بإمكانه أن يكون موظفاً كبيراً ويعيش هادئاً مرتاح البال ولكنه اختار طريق المصلحين.

وتأتي البيئة العلمية التي صقلت شخصيته وهذبت مناحيه والفضل الأكبر يعود إلى الفترة الزيتونية ورحلته الثانية إلى الحجاز والشام حيث تعرف على المفكرين والعلماء الذين تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما دعا إليه من نقاء العقيدة وصفائها. وكان لمجلة (المنار) التي يصدرها الشيخ رشيد رضا أثر قوي في النظر لمشكلات المسلمين المعاصرة والحلول المطروحة.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ومما شجع ابن باديس وأمضى عزيمته وجود هذه العصبة المؤمنة حوله ، وقد وصفهم هو بالأسود الكبار - من العلماء والدعاة أمثال الإبراهيمي والتبسي والعقبي والميلي... وقد عملوا معه في انسجام قلّ أن يوجد مثله في الهيئات الأخرى.

آثار ابن باديس:

شخصية ابن باديس شخصية غنية ثرية ومن الصعوبة في حيز ضيق من الكتابة الإلمام بكل أبعادها وآثارها؛ فهو مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين ويعلم كيف تكون النهضة. يقول:

"إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة ، وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآثر ، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة ، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة".

وهو عالم مفسر ، فسر القرآن كله خلال خمس وعشرين سنة في دروسه اليومية كما شرح موطأ مالك خلال هذه الفترة ، وهو سياسي يكتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين وخاصة في الجزائر ويهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية ويشرح أصول السياسة الإسلامية ، وقبل كل هذا هو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد ، فأنشأ المدارس واهتم بها ، بل كانت من أهم أعماله ، وهو الذي يتولى تسيير شؤون جمعية العلماء ، ويسهر على إدارة مجلة الشهاب ويتفقد القاعدة الشعبية باتصالاته المستمرة. إن آثار ابن باديس آثار عملية قبل أن تكون نظرية في كتاب أو مؤلّف ، والأجيال التي رباها كانت وقود معركة تحرير الجزائر ، وقليل من المصلحين في العصر الحديث من أتيحت لهم فرص التطبيق العملي لمبادئهم كما أتيحت لابن باديس ؛ فرشيد رضا كان يحلم بمدرسة للدعاة ، ولكن حلمه لم يتحقق ، ونظرية ابن باديس في التربية أنها لا بد أن تبدأ من الفرد ، فإصلاح الفرد هو الأساس.

وطريقته في التربية هي توعية هذا النشء بالفكرة الصحيحة كما ذكر الإبراهيمي عن اتفاقهما في المدينة: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها سنة 1913 في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة" (2).

وينتقد ابن باديس مناهج التعليم التي كانت سائدة حين تلقيه العلم والتي كانت تهتم بالفروع والألفاظ - فيقول: "واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية ، مجردة بلا نظر ، جافة بلا حكمة ، وراء أسوار من الألفاظ المختصرة ، تفني الأعمار قبل الوصول إليها" (3).

أما إنتاجه العلمي فهو ما جمع بعد من مقالاته في "الشهاب" وغيرها ومن دروسه في التفسير والحديث(4).

الهوامش :

1 - د.عمار الطالبي: ابن باديس.. حياته وآثاره 2/138 ، ط دار الغرب الإسلامي.
2 - د.الخطيب: جمعية العلماء المسلمين ، ص129.
3- المصدر السابق ص141.
4 - مع الأسف لم يصلنا كل ما كتبه أو كل ما ألقاه من دروس في التفسير والحديث. وقد جُمع ما نشر في (الشهاب) من افتتاحيات تحت عنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" بإشراف محمد الصالح رمضان ، وتوفيق شاهين. وحاول الدكتور عمار الطالبي جمع آثاره كلها ، ولكن لا يزال هناك أشياء لم تُجمع.

الشيخ البشير الإبراهيمي

زمـيـل ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية ، ونائبه في رئاسة جمعية العلماء ، ورفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من الخرافات والبدع.
ولد عام 1889م في قرية (سيدي عبد الله) من نواحي (سطيف) التابعة لمدينة قسنطينة. تلقى تعليمه الأوَّلي على والده وعمه ؛ فحفظ القرآن ودرس بعض المتون في الفقه واللغة.
غـادر الجزائر عام 1911 ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز ، وتابع تعليمه في المدينة ، وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام 1913 ، غادر الحجاز عام 1916 قــاصــداً دمشق، حيث اشتغل بالتدريس، وشارك في تأسيس المجمع العلمي الذي كان من غاياته تــعــريـــب الإدارات الـحـكـومــيــة، وهناك التقى بعلماء دمشق وأدبائها، ويـتـذكــرهـــم بعد ثلاثين سنة من عودته إلى الجزائر فيكتب في (البصائر) العدد 64 عام 1949: "ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الـخـضـراء في حياتي المجدبة ، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر ، ولا أكذب الله ، فأنا قــريـــر العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ولكن ... مَن لي فيه بصدر رحب ، وصحب كـأولــئــك الصحب ؛ ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت ، وأفرغت فيها مـــا وسقت ، فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب ، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية...".
فى عام 1920 غادر الإبراهيمي دمشق إلى الجزائر ، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم في مدينة (سطيف) ، حيث دعا إلى إقامة مسجد حر (غير تابع للإدارة الحكومية) وفي عام 1924 زاره ابن باديس وعرض عليه فـكــرة إقامة جمعية العلماء ، وبعد تأسيس الجمعية اُختِير الإبراهيمي نائباً لرئيسها ، وانــتــدب مـــن قِـبـل الجمعية لأصعب مهمة وهى نشر الإصلاح في غرب

الجزائر وفى مدينة وهران وهي المعقل الحصين للصوفية الطرقيين، فبادر إلى ذلك وبدأ ببناء المدارس الحرة ، وكان يحاضر في كل مكان يصل إليه، وهــو الأديــــب البارع والمتكلم المفوَّه، وامتد نشاطه إلى تلمسان وهى واحة الثقافة العربية في غرب الجزائر وقـامــت قيامة الفئات المعادية من السياسيين والصوفيين وقدموا العرائض للوالي الفرنسي؛ يلتمسون فـيـها إبعاد الشيخ الإبراهيمي ، ولكن الشيخ استمر في نشاطه ، وبرزت المدارس العربية في وهران.

وفي عام 1939 كتب مقالاً في جريدة (الإصلاح) ؛ فنفته فرنسا إلى بلدة (أفلو) الصحراوية ، وبعد وفاة ابن باديس انتخب رئيساً لجمعية العلماء وهو لا يزال في المنفى ولم يُفرج عنه إلا عام 1943، ثم اعتقل مرة ثانية عام 1945 وأفرج عنه بعد سنة. وفى عام 1947 عادت مجلة (البصائر) للصدور ، وكانت مقالات الإبراهيمي فيها في الذروة العليا من البلاغة ومن الصراحة والنقد القاسي لفرنسا وعملاء فرنسا. يقول عن زعماء الأحزاب السياسية: "ومن خصومها (أي الجمعية) رجال الأحزاب السياسية من قومنا من أفراد وأحزاب يضادّونها كلما جروا مع الأهواء فلم توافقهم ، وكلما أرادوا احتكار الزعامة في الأمة فلم تسمح لهم ، وكلما طالبوا تأييد الجمعية لهم في الصغائر - كالانتخابات - فلم تستجب لهم ، وكلما أرادوا تضليل الأمة وابتزاز أموالها فعارضتهم" (1).

ودافع في (البصائر) عن اللغة العربية دفاعاً حاراً: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ، ولا دخيلة ، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها ، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواصر مع الحاضر ، طويلة الأفنان في المستقبل" (2).

واهتمت (البصائر) بالدفاع عن قضية فلسطين ؛ فكتب فيها الإبراهيمي مقالات رائعة.

عاش الإبراهيمى حتى استقلت الجزائر ، وأمّ المصلين في مسجد (كتشاوة) الذي كان قد حُوّل إلى كنيسة ، ولكنه لم يكن راضياً عن الاتجاه الذي بدأت تتجه إليه الدولة بعد الاستقلال ؛ فأصدر عام 1964 بياناً ذكر فيه: "إن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية".

تُوفي - رحمه الله - يوم الخميس في العشرين من أيار (مايو) عام 1965. بعد أن عاش حياة كلها كفاح لإعادة المسلمين إلى دينهم القويم ؛ فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

الهوامش :

1- د.الخطيب: جمعية العلماء ، ص155.

2 - المصدر السابق ، ص156.

الشيخ العربي التبسي

أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر ، وأمين عام جمعية العلماء والمجاهد البارز الذي خطفته يد التعصب والغدر الفرنسية عام 1957 ولم يُسمع له ذِكر بعدها.

وُلد الشيخ العربي عام 1895 في بلدة (ايسطح) من أعمال (تبسة) التابعة لقسنطينة. حـفـظ القرآن في قريته ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلم في زاوية (الشيخ مصطفى بن عزوز) ، انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة ؛ فنال منه شهادة الأهلية وعزم على الانتقال إلى القاهرة لمتابـعـة التحصيل العلمى في الأزهر.

عــاد إلـى الجزائر عام 1927 واتخذ من تبسة مركزاً له وفى مسجد صغير في قلب المدينة انطلق الـشيخ في دروسه التعليمية وواصل الليل بالنهار لإنقاذ هذا الشعب من الجهـل وذل الاســتـعـمـار ، وبدأت آثار هذا الجهد تظهر في التغيير الاجتماعي والنفسي لأهل تبـسة؛ حيث بدأت تختفي مظاهر التأثر بالفرنسيين وبدأ الناس يلتفون حول رجال الإصلاح.

وكالعادة ضُيّق على الشيخ ، فنصحه ابن باديس بالانتقال إلى غرب الجزائر ، فاستـجاب لذلك ، ولكن أنصاره في تبسة ألحوا عليه بالعودة وأسسوا مدرسة طلبوا منه أن يكـون أول مدير لها. وبعد وفاة ابن باديس ونفْي الإبراهيمي اتجهت الأنظار إلى الشيخ العربي ليحمل المسؤولية ويتابع الرسالة الإسلامية وتوافد إليه طلاب العلم من كل مكان ، وفي عام 1947 تــولـى الـعـربـي إدارة مـعـهـد ابـن بــاديس في قسنطينة فقام بالمهمة خير قيام. يقول عنه الإبراهيمي: "والأستاذ التبسي - كما شــهـد الاختبار وصدق التجربة - مدير بارع ومربٍ كامل خرجته الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم وخرجه القرآن والسيرة النبوية ، فجاءت هذه العوامل في رجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب".

وفي عام 1956 انتقل الشيخ إلى العاصمة لإدارة شؤون الجمعية فيها ، واستأنف دروسه في التفسير وكان شجاعاً لا يخاف فرنسا وبـطـشـها ، يتكلم بالحق ، ويدعو للجهاد ولم يأبه لتحذير الناصحين المحبين له الذين خافوا عـلـيـه من فرنسا والتي كانت تعلم مكانته بين صفوف الجماهير ، وأثره عندما يدعوها للجهاد ، وهــو ليس من الناس الذين يتكلمون ولا يفعلون ، بل يقول:"لو كنت في صحتي وشبابي ما زدت (1) يوماً واحداً في المدينة ؛ أُسرع إلى الجبل ، فأحمل السلاح ، فأقاتل مع المجاهدين".

وفي 17 من نيسان (أبريل) عام 1957 امتدت يد (الجيش السري) الذي شكَّله غلاة الفرنسيين المتعصبين لتخطف الشيخ العربي من منزله ، وليكون في عداد الشهداء ، رحمه الله رحمة واسعة.
هؤلاء أبرز فرسان جمعية العلماء التي كان لها الدور الأكبر في إبراز هوية الجزائر العربية الإسلامية ، بل لها دور بارز في الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ولعلنا - ومن خلال (البيان) - نكون قد قمنا ببعض الواجب تجاه هذه الجمعية وهؤلاء المصلحين.

الهوامش :

1- زدت: أقمت أو بقيت بلغة أهل الجزائر.

خواطر في الدعوة

المؤسسات القديمة

محمد العبدة

عندما نتحدث عن التجديد فإنما نأمل من المسلم أن يصوغ شخصيته لتكون عندها القابلية للتجديد ، فلا تخضع لمألوفات وعادات غير صحيحة ، ولا تجمد عند فكر معين لا تتجاوزه وقد تبين خطؤه أو أنه قيل في ظروف غير موجودة الآن. قد يكون المسلم معجباً بأعلام التجديد في العصور الإسلامية المتعاقبة ويدعو إلى التجديد في كل عصر ، ولكنه لا ينتبه لنفسه أنه - وهو يمارس الدعوة - قد جمد على أسلوب معين وأفكار طُرحت قبل سنوات كان قد قرأها في بدايات عهده بالدعوة ولا يستطيع التحول عنها ؛ فالنفس البشرية تميل للمحافظة على ما ألفت، وكثير من الناس لا يتعبون أنفسهم بالتفكير المستمر والنمط الذي عرفوه أسهل عليهم ، ولا ينتشل نفسه من هذه (السهولة) إلا مَن أوتي عزماً أكيداً للتطلع إلى الأفضل دائماً ، وملاحظة التغيرات المستجدة ، والظروف الطارئة ، فهو في تجديد مستمر بين كل فينة وأخرى.
إن بعض الناس قد يحيطون مؤسسة ما - وخاصة إذا عُمرت طويلاً - بهالة من التقديس، وعندئذ فإن انتقادها أو التدخل في شؤونها يعتبر ضرباً من التطاول على الحرمات والانتهاك للمقدسات! ، وفي مثل هذه الأحوال فإن صبّ تيار جديد قوي لدفع التيار الأول يكون من الصعوبة بمكان، مع أن هذا يعطي الدعوة حيوية وقوة، ولو عمر المؤسسون الأوائل لغيَّروا كثيراً من اجتهاداتهم لأنهم سيعاصرون أحداثاً لم تكن في أوائل الدعوة، ولا يعارض التجديد في مثل هذه الظروف إلا غبي مشغوف بعبادة الأشخاص، أو انتهازي يريد بقاء الوضع على ما كان ليستفيد هو شخصياً من هذا البقاء، وقد تكون لهم مصلحة\ أكيدة في قيام بعض العادات وترسيخها؛ لأنهم

يستمدون من هذه العادات قوتهم وسلطتهم ولذلك كان من حظ البشرية أن ينبغ فـيـهم بـين الفـينة والأخرى من يحملهم على التفكير حملاً.
إن تيار الحياة متدفق متجدد والذي لا يلاحظ التغيرات سيعيش بعيداً عن عصره، بـعـيداً عن واقعه، يتقوقع على نفسه مردداً ما سمعه من عشرات الـسـنين، فالذين قرأوا ما كُتب عن جمال الدين الأفغاني قبل ثلاثين سنة ولم يقرأوا ما كُتب عنه بعدئذ وما تكشّفت عنه الحقائق، هؤلاء يتعجبون عندما يذكره أحد بنقد أو تقويم، فهو - بنظرهم - مصلح الشرق وملهمه، والذين تردد على أسماعهم اسم محمد علي جناح - كمؤسس لباكستان - كانوا يضعونه في مصاف العظماء الكبار، ثم تبين أن الرجل غربى النزعة مدخول العقيدة ، وهذا ما يفسر قيام باكستان كأرض مستقلة للمسلمين ولكن لم تقم باكستان كدولة تحكم بالإسلام.
إن التحدي الذي يواجه المسلمين في هـذا الـعـصـر ويحتاج إلى الـتـجـديد في طرائق الـفـكر والعمل هو: كيف ننفذ منهج أهل السنة ونستفيد من منتجات هذا العصر دون التنازل عن الفكرة والمبدأ؟.
والمطلوب هو التنفيذ العملي، وليس الكلام في الكتب والمجلات عن (الأصالة والمعاصرة) أو (كيف نجمع بين ثقافتنا وتقنية الغرب..).
فهل يشعر المسلمون بخطر التسويف والجمود في حين أن القافلة تسير؟!

حكمة إرسال الرسل

الشيخ: محمد صالح العثيمين

لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله - تعالى - على الوجه الذي يرضاه ويحبه ، وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها ؛ إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده ؛ كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح الخلق وإقامة الحجة عليهم ، قال - تعالى -: ((رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ))[النساء:165].

فحكمة إرسال الرسل تتلخص في:

الأول: إقامة الحجة على الخلق حتى لا يحتج أحد على الله فيقول ((لَوْلا أَرْسَلْتَ إلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ونَخْزَى))[طه:134] ، لقد قطع الله هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأييدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم وسلامة طريقتهم.
الثاني: توجيه الناس وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم ؛ فإن الناس مهما أوتوا من الفهم والعقل والذكاء لا يمكنهم أن تستقل عقولهم بالتنظيم العام المصلح للأمة بأكملها كأمة متماسكة متكافئة متساوية في

إعطاء ذي الحق حقه ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفَرَاش - وهي الدواب التي تقع في النار - يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها" رواه البخاري.
فالرسل يذودون الناس عما يضرهم ويدعونهم إلى ما ينفعهم.
الثالث: جمع الأمة على دين واحد ورجل واحد ، فإن انقياد الناس لما يشاهدونه من الآيات المؤيدة للأنبياء أسرع وأقوى وأشد تماسكاً ؛ فإنهم يجتمعون عليه عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت فيحصل الصلاح والإصلاح.
تأييد الرسل بالآيات وكوْنها من جنس ما شاع في عصرهم:
لو جاء رجل من بيننا وقال إنه نبي يُوحَى إليه ، وأن طاعته فرض ، وأن من عصاه فله النار ، ومن أطاعه فله الجنة ، ثم نظم قوانين ، وسن سنناً ، وقال امشوا على هذه النظم ، وإلا فلكم النار ؛ ما كان أحد ليقبل منه - مهما بلغ في الصدق والأمانة - حتى يأتي ببرهان يدل على صدقه ، فلو رد أحد دعوة هذا المدعي الذي لم يأتِ ببرهان على صدقه ما كان ملوماً ، فالقضية التي تسلم بها العقول أن المدعي عليه البينة وإلا فلا يجب قبول مدَّعاه.
وإتماماً لإقامة الحجة بالرسل على الخلق أيد الله رسله بالآيات المبينات الدالة على صدقهم ، وأنهم رسل الله حقاً ، فاصطفى الله للرسالة من الناس من يعلم أنه أهل للرسالة وكفؤ لها ومستطيع للقيام بأعبائها والصبر على مكائد أعدائها ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))[الحج:75] ، ((اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ))[الأنعام:124] ، فاصطفى الرجال الكُمَّل الأقوياء أهل الحضارة واللين والفهم ((ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ القُرَى))[يوسف:109](أي أهل المدن) ، فإن القرية هي المدينة كما سمى الله مكة قرية ((وكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَتِي أَخْرَجَتْكَ))[محمد:13] ، وسماها أم القرى ((لِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى ومَنْ حَوْلَهَا))[الأنعام:92].
وما بعث الله رسولاً إلا أيده بالآيات على صدق رسالته وصحة دعواه ، قال الله - تعالى -: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ))[الحديد:25] ، أي بالآيات البينات الواضحات التي لا تدع مجالاً للشك في صدق ما جاء به الرسول المرسل ؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما من نبي من الأنبياء إلا قد أُعطي من كل الآيات ما آمن على مثله البشر" رواه البخاري ومسلم.
وهذا من حكمة الله العليا ورحمته بعباده أن أيد الرسل بالآيات لئلا يبقى أمرهم مشكلاً ؛ فيقع الناس في الحيرة والشك ولا يطمئنون إلى ما جاءوا به ، وهذه الآيات التي جاء بها الرسل لابد أن تكون خارجة عن طوق البشر ؛ إذ لو كانت في استطاعتهم ما صح أن تكون آية لإمكان البشر أن يدَّعي الرسالة ويأتي بها إذا كانت تحت قدرته ، ولكن آيات الرسل لا يمكن للبشر أن يأتوا

بمثلها وقد جاءت كبريات الآيات من جنس ما برز به أهل العصر الذي بعث فيه ذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما قرر ذلك أهل العلم ، واستشهدوا على ذلك بآيات موسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - فإن عهد موسى ترقَّى فيه السحر حتى بلغ السحرة الغاية في المهارة والحذق ؛ فكان من أكبر الآيات التي جاء بها موسى ما يربو على فعل السحرة وهو يشبه في ظاهره السحر وإن كان يختلف اختلافاً كبيراً ؛ لأن ما جاء به موسى حقيقة ما يراه الناظر ، بخلاف السحر فإنه يخيَّل للناظر وليست حقيقته كما يراه ، فكان من الآيات التي جاء بها موسى عصاه التي يلقيها فتكون حية ثعباناً ، ويأخذها فتعود في يده عصاه الأولى ، وقد ألقاها عند فرعون حين دعاه إلى الإيمان بالله ، وكذلك كان موسى يُدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ، أي من غير عيب وبرص ، وقد أخرجها كذلك عند فرعون حين دعاه إلى الإيمان بالله ، فلما رأى فرعون هاتين الآيتين كابر وقال للملأ حوله: ((إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110)))[الأعراف] ، وقد ألقى موسى عصاه كذلك عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم في المجتمع العظيم الذي قرره موسى حسب طلب فرعون أن يجعل بينه وبينه موعدا ليغالبه في سحره كما زعم فلما اجتمع السحرة وألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ؛ فجاءوا بسحر عظيم حتى كانت تلك الحبال والعصي يخيل إلى رائيها أنها تسعى ؛ ألقى موسى عصاه بأمر الله - تعالى - فإذا هي تلقف ما يأفكون فتلْتهم هذه الحبال والعصي عن آخرها ، فعلم السحرة - وهم أهل السحر وأعلم الناس به - أن ما جاء به موسى ليس بسحر وإنما هو من الأمور التي لا يمكن للبشر معارضتها ((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وهَرُونَ)) [الشعراء:46-48]. وكذلك كان لهذه العصا مجال آخر حينما كان موسى يستسقي لقومه فيضرب بها الحجر فيتفجر منه اثنتا عشرة عيناً بقدر قبائل بني إسرائيل.
وكان لها مجال آخر أيضاً حينما وصل موسى وقومه إلى البحر وخلفهم فرعون بجنوده فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق اثني عشر طريقا فسلكه موسى وقومه فنجوا.
وفي زمن عيسى - عليه الصلاة والسلام - كان علم الطب مترقياً إلى حد كبير ؛ فجاءت آياته بشكل ما كان مترقياً في عهده من الطب إلا أنه أتى بأمر لا يستطيع الطب مثله ، فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فتكون طيراً بإذن الله ، والناس يشاهدون ذلك ، وكان أيضاً يبرىء الأكمه - وهو الذي خُلق أعمى - ويبرىء الأبرص بإذن الله - تعالى - وهذان المرضان من الأمراض التي لا يستطيع الأطباء في ذلك الوقت - وإلى هذا الوقت فيما أعلم - أن يبرئوهما ، بل قال بعض العلماء إنه إنما سمي المسيح ؛ لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برِىء وذكر في القرآن أن عيسى يحيي الموتى بإذن الله ،

وفى آية أخرى يُخرج الموتى وهذان عملان مختلفان؛ العمل الأول إحياء الموتى قبل دفنهم ، والثاني إحياؤهم وإخراجهم من قبورهم بعد الدفن ، ولا ريب أن هذه الآيات التي أُعطيها عيسى - عليه الصلاة والسلام - يعجز عن مثلها البشر ؛ فتأييده بها دليل وبرهان على أنه رسول من الله الخالق القادر عليها.

وقد يؤيد الله الرسل بآيات أخرى ولكن أبرز الآيات وأعظمها يكون من جنس ما شاع في عصر الرسول ؛ ولذا أيد الله رسوله محمداً -صلى الله عليه وسلم- بآيات كثيرة أبرزها وأعظمها هذا القرآن الكريم ، الذي هو كلام رب العالمين ، ((لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) [فُصلت:42] ؛ لأنه شاع في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- فن البلاغة والفصاحة وصار البيان والفصاحة معترك الفخر والسيادة كما يعلم ذلك من تتبع التاريخ.

معجزات الأنبياء:

معجزات الأنبياء هي الآيات التي أعجزوا بها البشر أن يأتوا بمثلها ، والله - تعالى - يسميها آيات ، أي علامات دالة على صدق الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - فيما جاءوا به من الرسالة.

والمعجزة - في اصطلاح العلماء -: "أمر خارق للعادة (أي جارٍ على خلاف العادة الكونية التي أجراها الله - تعالى - في الكون) ، سالم عن المعارضة ، يُظهره الله - تعالى - على يد الرسول تأييداً له" ، مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من أصابع يد النبي -صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك مما سيمر بك.

فالأمر الجاري على وفق العادة لا يسمى معجزة ، كما لو قال قائل أريكم معجزة أن لا يمضي ساعة حتى تطلع الشمس ، وكان ذلك قبل طلوع الشمس بأقل من ساعة ، فإن الشمس إذا طلعت في زمن طلوعها لا يعد طلوعها معجزة لهذا القائل ؛ لأن طلوعها في وقته على وفق العادة وليس خارقاً للعادة.

وإذا كان الشيء الخارق للعادة غير سالم من المعارضة فلا يسمى معجزة ، مثل الأمور التي تقع من السحرة والمشعبذين ونحوهم ؛ لأن الأمور التي يأتون بها يمكن معارضتها بفعل ساحر أو مشعبذ آخر.

وإذا كان الشيء الخارق للعادة جارياً على يد ولي من الأولياء فلا يسمى معجزة اصطلاحاً ، وإنما يسمى كرامة ، ولكن هذه الكرامة الحاصلة للولي هي في الواقع معجزة للرسول الذي كان الولي متبعا له ؛ إذ الكرامة دليل على صحة طريقة ذلك الولي.

فوائد آيات الأنبياء ومعجزاتهم:

إن الآيات التي جاء بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ذات فوائد كثيرة نلم منها بما يلي:

1- بيان قدرة الله - تعالى - فإن هذه الآيات لابد أن تكون أمورا خارقة للعادة كشاهد دليل على صحة ما جاء به الرسل ، وإذا كانت خارقة للعادة كانت دليلاً على قدرة الخالق وأنه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها ، ولذا تجد المرء يندهش عند هذه الآيات ولا يمكنه إلا أن يصدق برسالة الرسول الذي جاء بها حيث جاء بما لا يقدر عليه أحد سوى الله - عز وجل -.
2 - بيان رحمة الله بعباده ؛ فإن هذه الآيات التي يرونها مؤيدة للرسل تزيد إيمانهم وطُمأنينتهم لصحة الرسالة ومن ثم يزداد يقينهم وثوابهم ولا يحصل لهم حيرة ولا شك ولا ارتباك.
3 - بيان حكمة الله البالغة ؛ حيث لم يرسل رسولاً فيدعه هملاً من غير أن يؤيده بما يدل على صدقه وإن المرء لو أرسل شخصاً بأمر مهم من غير أن يصحبه بدليل أو أمارة على صحة إرساله إياه لعُدّ ذلك سفهاً وموقفاً سلبياً من هذا الرسول ، فكيف برسالة عظيمة من أحكم الحاكمين؟! ، إنها لابد أن تكون مؤيدة بالبراهين والآيات البينات.
4 - رحمة الله بالرسول الذي أرسله الخالق ؛ حيث ييسر قبول رسالته بما يجريه على يديه من الآيات ليتسنى إقناع الخلق بطريقة لا يستطيعون معارضتها ولا يمكنهم ردها إلا جحوداً وعناداً ؛ قال الله - تعالى - ((فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ)) ، أي لما يرون من الآيات الدالة على صدقك ، ((ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)) [الأنعام:33].
5 - إقامة الحجة على الخلق ؛ فإن الرسول لو أتى بدون آية دالة على صدقه لكان للناس حجة في رد قوله وعدم الإيمان به ، فإذا جاء بالآيات المقنعة الدالة على رسالته لم يكن للناس أي حجة في رد قوله.
بيان أن هذا الكون خاضع لقدرة الله وتدبيره ، ولو كان مدبراً لنفسه ، أو طبيعة تتفاعل مقوماتها وتظهر من ذلك نتائجها وآثارها - لما تغيرت فجأة واختلفت عادة بمجرد دعوى شخص لتؤيده بما ادعاه.
فانظرْ إلى الأكوان الفلكية التي لا تتغير بعوامل الزمن إلا بإرادة الله ، ولقد أجراها الله - تعالى - كما قدر لها أن تجري منذ خلقها الله حتى يأذن بانتهائها.

آيات النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح": "والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- كثيرة وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) ، وتسمى (دلائل النبوة) و(أعلام النبوة) ونحو ذلك ، وهذه الألفاظ التي سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصد من لفظ المعجزات ؛ ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة ، وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان". قال - رحمه الله -: "والآيات نوعان منها ما مضى وصار معلوما بالخبر ، ومنها ما هو

باقٍ إلى اليوم كالقرآن والإيمان والعلم اللذيْن في أتباعه ، وكشريعته التي جاء بها..".

ومن هذه الآيات:

1- القرآن الكريم وهو أعظم آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛ لأنه الآية السابقة الباقية ، فمنذ أوحى الله إليه به حتى اليوم وهو آية شاهدة على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

فالقرآن كلام الله - تعالى - لفظاً ومعنى ، تكلم الله به نفسه كلاماً حقيقياً ؛ فأوحاه إلى جبريل ، ثم نزل به جبريل على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فوعاه وحفظه ، وتكفل الله له بحفظه ؛ حيث قال: ((إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ (17) فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ))[القيامة:17-19]. وإذا كان الله قد تكفل ببيانه ؛ فمعناه أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سيحفظه ويعيه حتى يبلغه للناس ويبينه لهم ، قال تعالى: ((إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[الحجر:9].

والقرآن آية من آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- الدالة على صدقه من عدة أوجه:

الأول: عجز الخلق كلهم أن يأتوا - مجتمعين أو منفردين - بمثل هذا القرآن ؛ قال الله - تعالى -: ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)) [الإسراء:88] ، يعني لا يمكن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم معيناً لبعض ؛ وذلك لأن القرآن كلام الله ولا يمكن أن يماثله شيء من كلام المخلوقين ، لا من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى ، ولا من حيث التأثير ، ولا من حيث الثمرة والآثار الحميدة.

الثاني: من حيث اللفظ في قوته ورصانته وتركيبه وأسلوبه ونظمه وبيانه ووضوحه وشموله للمعاني العديدة الواسعة التي لا تزال تظهر عند التأمل والتفكير ، حتى إنك لتسمع الآية التي ما تزال تقرؤها فينقدح لك منها معنى جديد كأنك لم تسمع الآية من قبل وكأن الآية نزلت لتوّها من أجله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، ولم يأتِ أحد بنظير هذا الأسلوب ، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة ، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق"..وقال الشيخ محمد رشيد رضا - في كتابه "الوحي المحمدي": "إن القرآن لو أُنزل بأساليب الكتب المألوفة المعهودة وترتيبها لفقد بهذا الترتيب أخص مراتب إعجازه المقصود بالدرجة الثانية". وقال: "لو كان القرآن مرتباً مبوباً - كما ذكر - لكان خالياً من أعظم مزاياه شكلاً وموضوعاً ، يعلم هذا وذاك مما نبينه من فوائد نظمه وأسلوبه الذي أنزله به رب العالمين العليم الحكيم الرحيم ، وهو مزج تلك

المقاصد كلها بعضها ببعض ، وتفريقها في سوره الكثيرة الطويلة منها والقصيرة بالمناسبات المختلفة ، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب المحركة للشعور المنافية للسآمة والمَلَل"... إلى أن قال: "والقابلة لأنواع أخرى من الإلقاء الخطابي في الترغيب والترهيب والتعجب والتعجيب والتكريه والتحبيب والزجر والتأنيب واستفهام الإنكار والتقرير والتهكم والتوبيخ بما لا نظير له في كلام البشر من خطابة ولا شعر ولا رجز ولا سجع ، فبهذا الأسلوب الرفيع في النظم البديع وبلاغة التعبير الرفيع كان القرآن كما ورد في معنى وصفه ، لا تبلى جدته ولا تخلقه كثرة الترديد". اهـ.
الوجه الثالث من إعجاز القرآن من حيث أهدافه العالمية وآدابه الكاملة وتشريعاته المُصلحة ، فقد جاء بإصلاح العقيدة من الإيمان بالله وبما له من الأسماء والصفات والأفعال ، والإيمان بجميع ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وما يتعلق بذلك ، وجاء بإخلاص العبادة لله وتحرير الفكر والعقل والشعور من عبادة غير الله والتعلق به خوفاً ورجاءً ومحبة وتعظيماً. وجاء بالآداب الكاملة - التي يشهد بكمالها وصلاحها وإصلاحها كل عقل سليم - أمر بالبر والصلة والصدق والعدل والرحمة والإحسان ، ونهي عن كل ما يخالف ويناقض من الظلم والبغي والعدوان.. أما تشريعاته فناهيك بها من نظم مصلحة للعباد والبلاد في المعاش والمعاد ، وإصلاحاً في العبادة ، وإصلاحاً في المعاملة في الأحوال الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والفردية والكمالية ، فيما لو اجتمع الخلق كلهم على سنّ نظم تماثلها أو تقاربها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.
الوجه الرابع من إعجاز القرآن قوة تأثيره في النفوس والقلب ؛ فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام ، كما شهد بذلك المُوالي والمعادي ، حتى إن الرجل العادي - فضلاً عن المتعلم - ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسراً ، يعرف أن ليس هذا من كلام البشر ، وقصة سماع الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة له معروفة في السيرة. ولقد كان بعض الكبراء من قريش يأتون ليلاً خفية يستمعون إلى تلاوة النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن كما جرى ذلك لأبي جهل وأبي سفيان وغيرهما. وهذه القصص وأمثالها تدل دلالة ظاهرة على تأثير القرآن في النفوس وأخْذه بمجامع القلوب. ولكن هذا التأثير قد لا يظهر لكل أحد ، إنما يظهر لمَن كان له ذوق ومعرفة بأساليب الكلام وبلاغة اللسان.

ومن يكُ ذا فم مر مريض يجد مُراً به الماء الزُّلالا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد أن ذكر أنواعاً من إعجاز القرآن: "وهذه الأمور مَن ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له

ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وإخباره بعجزهم فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد".
الوجه الخامس من إعجاز القرآن تلك الآثار الجليلة التي حصلت لأمة القرآن باتباعه والعمل بأهدافه السامية وتعاليمه الرشيدة ، فقد ارتقى بأمة القرآن التي اعتنت به لفظاً وفهماً وتطبيقاً ، ارتقى بها إلى أوج العُلى في العبادة والآداب والكرامة والعزة ، لقد عرف سلف هذه الأمة قيمة هذا القرآن الكريم فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ؛ فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، فسادوا جميع العالم ، وصارت لهم العزة والغلبة والظهور والتمكين في الأرض والعلوم النافعة ، مع أنهم كانوا قبل ذلك متفرقين ضالين أميين مغلوبين بين الأمم ، ولن يعود لأمة القرآن ذلك العز والظهور والغلبة حتى يرجعوا إلى المَعين الذي روي به أسلافهم ، فيأخذوا منه صافيا من غير كدر ، لن يعود لهم ذلك حتى يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ويتفهموها ويطبقوها ، اعتقاداً وقولاً وعملاً فعلاً وكيفاً ، مؤمنين بذلك، معتقدين أن هذا هو طريق الصلاح والإصلاح والسلامة.
وإن من المؤسف حقاً أن ترى الكثير من المسلمين اليوم لا يلتفتون إلى الكتاب والسنة ولا يتفهمونها ، بل أكثرهم لا يقرأ من القرآن في عامه كله إلا ما يقرؤه في صلاته هذا مع قلة تفهم في اللغة العربية وآدابها وأساليبها ، وليس عندهم ذوق لُغوي شرعي لكتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وإنا لنرجو من الله - تعالى - أن يهيئ لأمة القرآن من أمرها رشداً ، وأن يبعث لها قادة فكر وسياسة لما فيه الخير والصلاح والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح ؛ فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.
2-ومن آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- ما أظهره الله شاهداً على صدقه من الآيات الأفقية ؛ كما قال - تعالى -: ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) [فصلت:53] ، ولذلك أمثلة:
المثال الأول: انشقاق القمر ، فقد انشق القمر وصار فرقتين ، وشاهد الناس ذلك وقد أشار الله إلى ذلك في القرآن ؛ قال الله - تعالى -: ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرُ * وإن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وكَذَّبُوا واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ))[القمر:1-3] وقد أجمع العلماء على وقوع ذلك في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل الهجرة ، وقد رآه الناس بمكة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- حين رآه -:"اشهدوا اشهدوا"، وقدِم المسافرون من كل وجه فأخبروا أنهم رأوه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:
"وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب ؛ لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك ؛ إذ

هو للجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لا يُتمارى فيه وأنه إذا قبِل الانشقاق فقبول محله أوْلى بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة العيدين ، كل الناس يقر بذلك ولا ينكره ولو لم يكن قد انشق لأسرع الناس إلى تكذيب ذلك" اهـ.
وقد استبعد أُناس وقوع انشقاق القمر وحاولوا تحريف معنى القرآن في ذلك وقد أخطأوا خطأً كبيرا في هذا الإنكار ؛ فالقرآن لا يتحمل المعنى الذي حرفوه إليه ، والنصوص الثابتة الكثيرة من الأحاديث صريحة في انشقاقه انشقاقاً حسياً مشهوداً ، ولا يقدح في ذلك ما زعمه بعضهم من كونه لم يُنقل في تاريخ غير التاريخ الإسلامي ، فإن نقله في التاريخ الإسلامي كافٍ في ذلك ، وقد جاء به القرآن الكريم ، ولعل الناس الذين لم ينقلوه لم يشاهدوه ، لعله وقع وهم نيام أو كانوا في النهار ولم يشعروا به ، أو كان في تلك الساعة مانع من سحاب أو غيره ، وقد أخبر المسافرون الذين قدموا مكة بمشاهدته وهو لم يستمر فيما يظهر وإنما كان آية شاهدها الناس ثم عاد إلى حاله الأولى.
المثال الثاني: المعراج: فإنه من أكبر الآيات ؛ فلقد أُسري بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة واحدة إلى بيت المقدس ، واجتمع هناك بالأنبياء ، وصلى بهم ، ثم عرج به جبريل حتى بلغ سدرة المنتهى فوق سبع سموات ، وأوحى الله - تعالى - إليه ما أوحى ، وشاهد -صلى الله عليه وسلم- من آيات الله الكبرى ما شاهد ومر بالأنبياء في كل سماء ، ورجع إلى مكة ، كل ذلك في ليلة واحدة ، مع بُعد المسافة الأرضية بين مكة وبين بيت المقدس ، ثم البعد العظيم بين السماء والأرض ، وبين السماء الدنيا وما فوقها إلى سدرة المنتهى. وقد أخبر الله - تعالى - في القرآن عن الإسراء في سورة الإسراء ، وعن المعراج في سورة النجم إذا هوى.
المثال الثالث: نزول المطر باستسقائه مباشرة وإقلاع المطر باستصحائه مباشرة ، ففي صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:"أصابت سنة - أي جدب - على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فَبَيْنَا النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله! ، هلك المال وجاع العيال ، فادعُ الله لنا ؛ فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة - أي قطعة سحاب - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحاور على لحيته ، فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد ، حتى الجمعة الأخرى ، وتام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله! ، تهدَّم البناء وغرق المال فادعُ الله لنا ، فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا ، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت فأقلع المطر وخرجنا نمشي في الشمس".

ومن آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- ما رواه البخاري وغيره عن جابر - رضي الله عنه - قال:"عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين يديه ركوة (إناء للماء) فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في الركوة التي عندك ، فوضع النبي -صلى الله عليه وسلم- يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال: فشربنا وتوضأنا ، قيل لجابر: كم كنتم؟ ، قال: لو كنا مائة ألف لكفانا! ، كنا ألفاً وخمسمائة!".
ومن آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- تكثير الطعام كما جرى ذلك يوم الخندق وجرى ذلك لأبي هريرة مع أهل الصفة.
ومن آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- ما وقع مطابقاً لما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- من أمور الغيب التي وقعت في عهده وبعده ولذلك أمثلة أيضاً:
المثال الأول: ما رواه مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرينا مصارع أهل بدر قبل ابتداء القتال ، يقول هذا: مصرع فلان غداً إن شاء الله ، هذا مصرع فلان ، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حددها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" .
المثال الثاني: إخباره -صلى الله عليه وسلم- عن ظهور نار في أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصرَى، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى ، فقد خرجت هذه النار في جُمادَى الآخرة سنة 654 شرق المدينة فأقامت نحواً من شهر ، وملأت الأودية وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى (وهى بلدة بالشام) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه النار كانت تحرق الحجر!".
ومن أمثلة ذلك ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- مما سيكون من الفتن وتغير أحوال الناس وغير ذلك.
وآياته -صلى الله عليه وسلم- كثيرة جداً وقد ذكر أهل العلم من ذلك الشيء الكثير ومن أوسع ما رأيت في ذلك تاريخ ابن كثير - رحمه الله - حيث كتب في آيات النبي مجلداً كبيراً ، وذكر أن جميع آيات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد جرى مثلها للنبي -صلى الله عليه وسلم- أو ما هو أعظم منها.
وهذه الآيات التي يجريها الله على أيدي أنبيائه وأوليائه كلها شاهدة بما له - تعالى - من كمال العلم والقدرة والرحمة ، وأن الأمور كلها بيده يجريها كما يشاء ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.
فلله الحمد والمنة ، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

في رحاب كتاب الله

شكوى النبي الكريم من هجر القرآن العظيم

للشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله

((وقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً)) [الفرقان:30] .

المناسبة:

لما ذكر - تـعـالى - ما قاله المشركون من الباطل في معارضة القرآن والإعراض والصد عنه ، وما قالوه من عبارات الحسرة والندامة يوم القيامة على ما كان منهم من ذلك في الدنيا ذكر ما قاله النبي -صلى الله عليه وسـلـم- من الشـكـوى لـربـه بهـم من تركـهم للقرآن العظيم وهجره.

المفردات:

مهجوراً: متروكاً مُقاطَعاً مرغوباً عنه. الرسول -صلى الله عليه وسلم-: محمد.

وقومه: قريش.

التراكيب:

في قوله ((يا رب)): إظهار لعظيم التجائه وشدة اعتماده وتمام تفويضه لمالكه ، ومدبر أمره ومُوالي الإنعام عليه. وفى التعبير عنهم بقومه وإضافتهم إليه ، وفى التعبير عن القرآن باسم الإشارة القريب بيان لعظيم جرمهم ، فتركهم للقرآن - وهو قريب في متناولهم - وقد أتاهم به واحد منهم أقرب الناس إليهم ؛ فصدوا وأبعدوا في الـصد عـمـن هو إليهـم قـريـب مـن قريب. وهذا أقبح الصد وأظلمه. وفى قوله ((اتخذوا)).. الخ بيان أنهم جعلوا الهجر ملازماً له ووصفاً من أوصافه عندهم ، وذلك أعظم من أن يقال هجروه ، الذي يفيد وقوع الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة.

المعنى:

وقال الرسول شاكياً لربه إن قومي - الذين أرسلتني إليهم بالقرآن لأتلوه عليهم - قد صدوا عنه ؛ فتركوه وثبتوا على تركه وهجره.

استنتاج وعبر:

في شـكـوى النبي -صلى الله عليه وسلم- من هجر القرآن دلـيـل على أن ذلك من أصـعـب الأمور عليه وأبغضها لديه ، وفى حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للهاجرين بإنزال العـقـاب بهم إجابة لشكوى نبيه ، ولما كان الهجر طبقات ، أعلاها عدم الإيمان به فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد.

تنزيل:

ونحـن - معـشـر المسلمين - قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل وإن كنا به مؤمنين ، بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة ؛ فهجرناها ، وقلنا تلك أدلة سمـعـية لا تحصل اليقين ، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة وإشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثة مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً عن العامة، وبيّن القرآن أصول الأحكام وأمهات مسائل الحلال والحرام ووجوه الـنظـر والاعـتـبار ، مع بيان حِكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام ؛ فهجرناها واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفني الأعمار قبل الوصول إليها ، وبيّن القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوىء الأخـلاق ومـضـارهـا ، وبين السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس،والسلامة من الخيبة بتدسيتها ؛ فهجرنا ذلك كله ، ووضعنا أوضاعاً من عند أنفسنا ، واصطلاحات من اختراعاتنا ، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطع ، وعن السنة البيضاء إلى الإحداث والتبدع ، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي ، والتخيل الفلسفى ما أبعدها غاية البعد عن روح الإسلام ، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام ، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها ، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها ومعارضة هداية القرآن بها.

وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ، ونبهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة لننظر ونبحث ونستفيد ونعمل ؛ فهجرنا ذلك كله إلى خريدة الـعـجائـب وبـدائـع الزهور والحوت والصخرة وقرون الثور! ، ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ، ولا يتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه ؛ فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتـبـيـيـنه ، فترى الطالب يفني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير - كتفسير الجلالين مثلاً - بل ويصير مدرساً متصدراً ولم يفعل ذلك. وفي جامع الزيتونة - عمّره الله تعالى - إذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويع في درس تفسير فإنه - ويا لَلمصيبة! - يقع في خصومات لفظية بين الـشـيخ عبد الحكـيـم وأصحـابـه في القواعد التي كان يحسب أنه فرغ منها من قبل ؛ فيقضي في خصومة من الخصومات أياماً أو شهوراً ، فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ أو ما تجاوزه إلا قليلاً دون أن يحصل على شيء من حقيقة التفسير ، وإنما قضى سنته في الممـاحكـات بدعـوى أنها تطبـيـقات للقواعد على الآيات ، كأن التفسير إنما يُقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية لا لأجـل فـهـم الشرائع والأحكام الإلهية. فهذا هجر آخر للقرآن مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن.

وعلّمنا القرآن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو المبين للناس ما نزل إليهـم من ربـهـم ، وأن عليهم أن يأخذوا ما آتاهم وينهوا عما نهاهم عنه ،

فكانت سنته العمليـة والـقـولـيـة تالية للقرآن ؛ فهجرناها كما هجرناه وعاملناها بما عاملناه ، حتى إنه ليقلّ في المتصدرين للـتـدريـس من كبار العلماء في أكبر المعاهد - مَن يكون قد ختم كتب الحديث المـشـهـورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها مطالعة فضلاً عن غيرهم من أهل العلم وفضلاً عن غيرها من كتب السنة. وكم وكم وكم بيّن القرآن ، وكم وكم قابلناه بالصد والهجران!

بيان واستشهاد:

شر الـهـاجـرين للـقـرآن هم الذين يضعون من عند أنفسهم ما يعارضونه به ويصرفون وجوه الناس إليهم وإلى ما وضعوه عنه ؛ لأنهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في أنفسهم وصد غيرهم ؛ فكان شرهم مـتعديـاً وبلاؤهم متجاوزاً وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك ، وفي هؤلاء جاء ما ذكره الإمـام ابـن القيم -في كتاب "إعلام الموقعين" - عن حماد بن سلمة ثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة عن يزيد بن أبي عميرة عن معاذ بن جبل قال:

"تكون فتن ؛ فيكثر المال ويفتح القرآن حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغيـر والكبـير والمنافق والمؤمن فيقرؤه الرجل فلا يتبع ؛ فيقول والله لأقـرأنَّـه علانـيـة فلا يـتـبع فيتخذ مسجداً ويبتدع كلاماً ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فإياكم وإياه فإنه بدعة وضلالة". قاله معاذ ثلاث مرات. اهـ.

فانظر في قطرنا وفى غير قطرنا ، كم تجد ممن بنى موضعاً للصلاة ووضع كتباً من عنده أو مما وضعه أسلافه من قبله وروجها بين أتباعه ، فأقبلوا عليها وهجروا القرآن وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فأخطأ وجهه، إذ لا نفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله ، وإنما يُدعى لله بكتاب الله ، ولذلك سمي صنيع هذا الواضع بدعة وضلالة ، وحذر معاذ منه وأكد في التحذير بالتكرير.

وهذا الحديـث وإن كان موقـوفـاً على معاذ - فهو في حكم المرفوع ؛ لأنه إخبار بمغيب مستقبل ، وهذا ما كان يعلمه الصـحـابـة -رضـوان الله تعالى عليهم - إلا بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد تحقق مضمونه في المسلمين منذ أزمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

سبيل النجاة:

لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن ، إلى علمه وهديه ، وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه ، والتـفـقـه فـيـه وفي الـسـنـة الـنـبوية شرحه وبـيـانـه، والاستـعانـة على ذلك بإخلاص القصد وصحة الفهم والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين ، وهذا أمر قريب على من قرّبه الله عليه ، يسير على من تـوكل على الله فيه ، وقد بدت طلائعه - والحمد لله - وهى آخذة في الزيادة - إن شاء الله - وسبحان مَن يحيي العظام وهي رميم (1).

الهوامش :
(1) د.عمار الطالبي: ابن باديس.. حياته وآثاره، 1/406.

الوحدة والائتلاف..
ونبذ الفرقة والاختلاف

د.محمد محمد بدري

في الوقت الحاضر بدأت الصحـوة الإسلامـيـة في شـتـى أنحاء البلاد الإسلامية.. وفي طريق عودة الأمة إلى الله لابد من معالم تبين لها طريق عودتها لتصبح بحق "أمة مسلمة" تستحق نصر الله ورضوانه..

ونحن نعتقد أن منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الصحيح الذي يجب أن تسير عليه الأمة ، ومنهج أهل السنة والجماعة هو الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- والالتزام بما كان عليه أصحاب رسول الله -صـلـى الله عليـه وسلم- ، وشـعارهـم الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم.

وإن مـن أعـظـم مـا أصـاب المـسـيرة الإسلامية الفرقة والتنازع والاختلاف ؛ فساحة العمل الإسلامـي تـغص بجماعات كثيـرة واحدة ، دعـواهـا واحدة وهي الإسـلام وإعـادة مـجـد الإسلام وأمـة الإسلام ، ولكنها متنافرة فيما بينها ، تتراشق الاتهام... بل يصل الأمر إلى الرمي بالمـروق من الـدين والاتهـام بالـضلال وهـذا هـو الخلاف المذموم الناشئ عن الهوى والتعصب لرجل أو جماعة بدون تعرف على الحق وتـبـين له.

والـفـرقـة دائـمـاً بـلاء يفـسـد كل صـالـح من الأعمال ويقطع عنه أكثر نتائجه، فكيف إذا تحولت الفرقة إلى تدابر؟!

إننا جميعاً يجب أن نـتـعلـم أن اخـتـلافـنـا مع الآخريـن لا يعنـي فقدانهم مقـومات العمل الإسلامي وخروجهم من دائرة المصلحة إلى دائرة المفسدة ، كما أن هـذا الـخـلاف لا يجب أن يعمينا عن إيجابيات الآخرين.

بـل يجـب علينا الاستفادة من تجارب الآخرين وأن نتعلم كيف نمد معهـم جـسـور المـودة والمحـبة ونشـاور منهم أهل العلم والخبرة فنكون وكأنما جمعنا علمهم إلى علمنا ، وعقلهم إلى عقلنا.

ونحاول إيجاد صيـغـة للالـتـقـاء والانسجام بين تجمعات أهل السنة والجماعة العاملة في الساحة الإسلامية بحيث تمضي القافلة المسلمة في طريق واحد نحو هدفها.

قد يقول البعض إن الاختلاف والـتفـرق أمر قـدري كـوني أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فـرقـة ، أو اثـنـتـين وسبعين فرقة ، والـنصارى على مـثل ذلك ، وتفـترق أمتي على ثلاث

وسبعين فرقة" وإذن فلا فـائـدة من العمل على الائتلاف والوحدة!.. ونحـن هنا نشير إلى أمر مهم يجب أن يفهمه المسلم وهو التمييز بين الأمر الشرعي والأمر القـدري الكـوني ، أو بين ما هو مطلوب منا وما هو واقع بنا فالمطلوب منا هو العمل على الائتلاف وما هو واقع بنا هو أن الفرقة والاختلاف واقعان لا محالة ، فإذا قمنا بما هو مطلوب منا فـسـيؤدي ذلك - بإذن الله - إلى تـكـثـيـر الفرقـة الـناجـية الـتي قال عـنهـا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك«.
وكما قال ابن تيمية - رحمه الله -:
"لا يقال: فإذا كان الكتاب والـسـنة دلا على وقـوع ذلك فـمـا فـائـدة النهى عنه؟! ؛ لأن الكتاب والسنة قد دلا على أنه لا يزال طائفة في هذه الأمة متمسكة بالحق إلى قيام الساعة وأنها لا تجتمع على ضلالة ، ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الـطـائـفـة المنصورة ، نسأل الله المجيب أن يجعلنا منها" (اقتضاء الصراط المستقيم).
ولابد أن نعلم أن هويتنا الحقيقية هي أننا عبيد مملوكون لله ، بيده وحده تقلباتنا ، وإليه وحده مصيرنا، وله حياتنا ومعادنا.
ونحن نظن أن حضور هذا البعد الإيماني هو الضمانة الحقيقية لشرعـية علاقـتـنا ، والملاذ الأخير لتصفية خلافاتنا ، ونزع أغلال قلوبنا. فلنحاول إذا اكتسبنا معرفة وعلماً ألا نفتقد خلق هذه المعرفة ، فلا يصح أن نمتلك الوسيلة ونضيع الهدف والغاية.
فالعلم إنما يراد لتقع الأعمال في الواقع على وفقه ، والعلم يقول لنا: عليكم بالوحدة ونبذ الفرقة ؛ قال - عز وجل -: ((واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا))[آل عمران:103] وذكّـرنـا - عـز وجـل - بالحال التـي كنـا عليهـا قـبـل الإسلام ، حين كان الناس قبائل متناحرة يعادي بعضها بعضاً ؛ فجاء الإسلام فأصبحوا إخوة أحبة: ((واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إخْوَاناً وكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا))[آل عمران:103] ، ونهانا - عـز وجـل - أن نسـلك مسـلك الأمم من قبلنا وهو التنازع والاختلاف: ((ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَـعْـدِ مَـا جَـاءَهُـمُ البَـيِّنَاتُ وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[آل عمران:105] ، وأخبر - سبحانه - أن الـتـنـازع والخلاف يؤدي إلى الفشل وذهاب قوة الأمة: ((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) [الأنفال:46].
وحـيـنما تـريـد الحـركة الإسلامية أن تقـف على قدميها فلابد أن تكون فصائلها متحالفة مترابطة ، والوحدة الـتـي نـريـدهـا هي وحـدة الـطـاقـات ؛ فالبعض يملك القوة العددية والبعض يملك الكوادر والطرف الثالث يملك المال وآخر

يملك طاقة أخرى وهكذا يمكن أن تتكامل هذه الطاقات وتتعاون في سبيل هدفنا الواحد.
إننا لا نرمي من وراء دعوتنا إلى الوحدة بين فصائل الحركة أن يتنازل رؤوس الفصائل الإسلامية في الحركة عن أفكارهم الشخصية مادامت معتقدات يشهد لها الشرع بالقبول ، ولا نطلب منهم أن يتخلوا عن مواقفهم ، بل نطلب منهم أن يتقدموا بمجهوداتهم ويساهموا بطاقاتهم في الحركة الإسلامية بحيث ينتظم عمل الجميع إطار واحد متكامل الأجزاء للانطلاق إلى الهدف المنشود من عودة هذه الأمة وإحيائها بالتوحيد وبعثها لتقود هذه البشرية من جديد.
نقول للجميع إننا نعمل من أجل دعوة واحدة ونسعى إلى هدف واحد ، ونرتبط بمصير واحد ؛ فعلينا أن نعمل في اتجاه واحد وفق منهاج واضح ، وأن نتعاون على البر والتقوى ولا نتنازع فيما بيننا فنفشل ونضعف وتضيع الأهداف التي ننشدها ، وفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى.

قضايا فقهية

-1-

مدى تدخل الدولة
في فرض الضرائب وتوظيف الأموال

عثمان جمعة ضميرية

مع اتساع سلطات الدولة في العصر الحديث ، وتغير بعض الظروف ، وتجدد الحوادث والوقائع ، نجد من الواجب دراسة بعض المسائل التي تتصل بحياة الناس وواقعهم لبيان حكم الإسلام فيها ، ومن ذلك ما نجده من تدخل الدولة في ملكيات الأفراد الخاصة بفرض ضرائب متنوعة وتوظيف الأموال على القادرين من أفراد المجتمع. فما هو حكم الإسلام في ذلك؟ وما مدى مشروعيته؟.. هذا ما سنعالجه في هذا المقال معالجة موجزة مركزة تتفق مع طبيعة المجلة - بإذن الله تعالى.

تعريف الضريبة:

الضريبة عند علماء المالية هي: فريضة إلزامية ، يلتزم الفرد بأدائها إلى الدولة تبعا لمقدرته على الدفع ، بغض النظر عن المنافع التي تعود عليه من وراء الخدمات التي تؤديها السلطات العامة ، وتستخدم حصيلتها في تغطية النفقات العامة (1).

حماية الملكية:

والأصل العام والقاعدة المقررة في الشريعة الإسلامية: أن المسلم إذا ما التزم بدفع الواجبات المالية التي تتعلق بملكية المال الذي بـيـده ، فإنه لا يجوز بعد ذلك التعرض لما في يده من أموال دون حق ، إلا إذا اقـتـضت ذلك الضرورة والمصلحة ضمن القواعد الشرعية المقررة ؛ لذلك رأينا كثيراً من النصوص الـشـرعية تـتوارد منددة بالمكوس وأخذ الأموال دون حق ، ومن ذلك ما جاء عن عقبة بن عامر - رضـي الله عـنـه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يدخل الجنة صاحب مكس" (2) ، وعن عبد الله بن عمرو قال: "إن صاحب المكس لا يُسأل عن شيء ، يؤخذ كما هو ، فيُرمى به في نار جهنم"(3).

* وكتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى عدي بن أرطأة أن: "ضع الفدية ، وضعْ عن الناس المائدة ، وضع عن الناس المكس ، وليس بالمكس ، ولكنه البخس الذي قال الله - تعالى -: ((ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ))[هود:85] ، فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه ، ومن لم يأتكِ بها فالله حسيبه".

* وكتب أيضاً إلى عبد الله بن عوف القاري أن: "اركـبْ إلى البـيـت الـذي بـرفـح ، الذي يقال له: بيت المكس ، فاهدمْه ، ثم احملْه إلى البور فانسفْه فيه نسفاً !" (4).

* ولهذا قال الإمام أبو يوسف القاضي - رحمه الله -: "ليس للإمام أن يُخرج شـيـئاً من يد أحدٍ إلا بحق ثابت معروف" (5) ، وقال: "وكل مَن أقطعه الولاة المـهديـون أرضـاً مـن أرض السواد وأرض العرب والجبال ، من الأصناف التي للإمام أن يقطع منها - فلا يحل لمَن يـأتـي بعدهم من الخلفاء أن يرد ذلك ، ولا يخرجه من يد مَن هو في يـده ، وارثـاً أو مشـتريـاً ، فـأمـا إن أخـذ الوالي من يد واحد وأقطعها آخر فهذا بمنزلة الغاصب ؛ غصب واحداً وأعطى آخر ، فلا يحل للإمام، ولا يسعه أن يقطع من الناس حق مسلم ولا معاهد، ولا يخرج من يده من ذلك شيئاً إلا بحق يجب له عليه ، فيأخذه بذلك الذي وجب له عليه.. والأرض عندي بمنزلة المال"(6).

الآثار الاقتصادية للضرائب:

وعقد العلاَّمة الاجتماعي ابـن خلـدون فـصلاً في مقدمته المشهورة بعنوان "في ضرب المكوس أواخر الدولة" بيَّن فيه الأسباب التي تدعو الدولة لفرض المكوس على الرعية ، وآثار ذلك على النشاط الاقتصادي ، وعلى الدولة ، حيت تكسد الأسواق لفساد الآمال ، ويؤذن ذلك باختلال العمران ، ويعود على الدولة - ولا يزال يتزايد - إلى أن تضمحل (7).

ثم عقد فصلاً آخر "في أن الظلم مُؤْذِن بخراب العمران" ؛ فقال فيه:

"ولا تحسبن الظلم إنما هو أخْذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب - كما هو المشهور - بل هو أعم من ذلك ، وكل من أخذ ملك أحد أو

غصبه في عمله ، أو طالبه بغير حق ، أو فرض عليه حقاً لم يفرضه المـشـرع فقد ظلمه.. فلما كان الظلم مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران كانت حـكـمـة الحـظـر (المنع) فيه موجودة ، فكان تحريمه مهماً ، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة ، أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر..." (8).

الحكم يدور مع علته:

هذا الذي تقدم يبين لنا أنه من الظلم المحرم العدوان على ملـكـيات الـناس وأموالهم بغير حق ثابت ؛ ولهذا جاءت النصوص الشرعية بتحريمه ، وتبين أن هذا الـحـكـم بـالـتحريم معلّل بأنه ظلم وعدوان ، وهو ما دفع ابن خلدون وغيره إلى القول بـعدم جـواز أخـذ شـيء من المال ، وهو ما أقرته الشريعة الإسلامية ، لكن إذا زالت العلة ، فـلـم يـعد الأخذ بغير حق ، وإنما هو أمر تستوجبه المصلحة العامة ، وتضبطه القواعد الشرعية المـقـررة - فهل يكون هذا الأخذ أو التوظيف للأموال حراماً؟.

نصوص فقهية:

عـرض فـقـهـاء الـشريعة الإسلامية توظيف الأموال على الأغنياء - عند الحاجة - وقرروا جواز ذلك ، وفيما يلي نصوص عن بعض الأئمة الفقهاء:

* رأي الغزالي: قال الإمام الغزالي - رحمه الله -: "إذا خلت أيدي الجنود من الأموال ، ولم يكن من مال المصـالـح ما يفي بخراجات العسكر ، ولو تفرق العسكر واشتغلوا بالكسب لَخيف دخول العدو بلاد الإسلام ، أو خِيف ثوران الفتنة من أهل العرامة في بلاد الإسلام - فيجوز للإمام أن يـوظـف على الأغنـياء مقدار كفاية الجند ؛ لأنا نعلم أنه: إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشرع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين ، وما يؤديه كل واحد منهم قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسـه ومـالـه لـو خلـت خطـة الإسلام من ذي شوكة ، يحفظ نظام الأمور ويقطع مادة الشرور. ومما يشهد لهذا: أن لـولي الـطفل عمارة القنوات ، وإخراج أجرة الطبيب وثمن الأدوية ، وكل ذلك تنجيز لتوقع ما هو أكثر منه" (9).

* رأي الجويني: وقد نص على ذلك أيضاً إمام الحرمين الجويني ، وهو شيخ الغزالي ، في كتابه "الغياثي" ، فقال: "إذا صفرت يد راعي الرعية عن الأموال ، لحاجات ماسة ، فلا يخلو الحال من ثلاثة أنحاء:

الأول: أن يطأ الكفار ديار الإسلام - والعياذ بالله - فقد اتفق حملة الـشـريعة قاطعة على أنه يتعين على المسلمين أن يخفوا إلى مدافعتهم زرافات ووحداناً.. وإذا كان هذا دين الأمة ومـذهـب الأئـمـة، فـأي مـقـدار للأمـوال في هـجـوم أمـثـال هـذه الأهوال، لو مست إليها الحاجة؟! وأموال الدنيا لو قوبلت بقطرة دم لم تعدلها ، ولم تـوازنـهـا ، فـيـجـب عـلى الأغنياء في هذا القسم

أن يبذلوا فضلات أموالهم ، حـتى تـنجلي هذه الداهية ، وتـنـكف الفئة المارقة الطاغية.
والثاني: أن لا يطأ الكفار ديار الإسلام ، ولكـنـا نحـاذر ذلك ونستشعـره ، لانقطاع موارد الأموال واختلال الأحوال ، فلا يحل تأخير النـظـر للإسلام والمسلـمـين إلى اتفاق استجراء الكافرين ، والدفع أهون من الرفع ، وأموال العالميـن لا تـقـابـل غائلة وطأة الكفار قرية من قرى المسلمين ، فليلحقْ هذا القسم بما تقدم.
وأمـا الـقسـم الـثالث: وهو أن لا نخاف من الكفار هجوماً ، لا خصوصاً في بعض الأقطار ، ولا عموماً ، لكن الانتهاض للغزو والجهاد يقتضي مزيد عتاد واستعداد ، فللإمام أن يكلف الأغنياء من فضلات الأمـوال ما تحصـل به الكفاية والغناء ، فإن إقامة الجهاد فرض على العباد".
ثم يضع إمام الحرمين ضوابط لهذا التدخل فيقول:
"ليس للإمام في شيء من مجاري الأحكام أن يتهجم ويتحكم ، فعل من يتشهى ويتمنى ، ولكنه يبني أموره كلها على وجه الرأي والصواب ، في كل باب ، والأمر في أخذ الأموال يجـري على هـذه الأحـوال. فلـيـشـر على أغـنـياء كل صقع بأن يبذلوا من المال ما يقع به الاستقلال.
فإذا عسر التبليغ إلى الاستيعاب ، ورأى في وجـه الـصـواب أن يخصص أقواماً ، ثم يجعل الناس في ذل كفئاتٍ ، فيستأدي عند كل ملمة من فرقة أخـرى وأمـة - اتـبـع في ذلك كله أوامـره - واجـتـنـب زواجـره. ثـم لـيكن في ذلك على أكمل نظر ، وأسدّ فكر وعبر... فإذا اقتضى الرأي تعيين أقوام على الـتنصـيص تعرض لهم على التخصيص ، ونظر إلى من كثر ماله وقل عياله ، وقد يتخير من خـيـف علـيـه من كثرة ماله أن يطغى ، ولو تُرك لفسد ، ولو غض من غلوائه قليلاً لأوشك أن يقتصد" (10).
* رأي الشاطبي: وقال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في كتابه النفيس "الاعتصام": "إذا قررنا إماماً مطاعاً مفتقراً إلى تكثير الجنود لسد حاجات الثغور وحماية الملك المتسع الأقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند إلى مالا يكفيهم ، فللإمام - إذا كان عدلاً - أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافياً لهم في الحال إلى أن يظهر مال بيت مال المسلمين ، ثم إليه ينظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ، كيلا يؤدي تخصيص الناس به إلى إيحاش القلوب ، وذلك يـقـع قليلاً من كثـيـر- بحيث لا يجحف بأحد -ويحصل المقصود.
وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولـيـن ؛ لاتـسـاع مال بيت المال في زمانهم ، بخلاف زماننا (زمان الشاطبي)؛ فإن القضية فيه أحرى ، ووجـه المصـلـحـة هنا ظاهر ، فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك النظام لبطلت شوكة الإمام ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار.

وإنما نظام ذلك كله شوكة الإمام مع عدله ، فالذين يحـذرون من الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة - يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها - فضلاً عن اليسير منها ، فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق لهم بأخذ بعض أموالهم ، فلا يتمارى في ترجيح الثاني على الأول ، وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد".
ثم قال: "والملاءمة الأخرى أن الأب في طفلـه أو الـوصي في يتيمه ، أو الكافل فيمن يكفله مأمور برعاية الأصلح له ، وهو يصرف ماله إلى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج إليها ، وكل ما يراه سبباً لزيادة ماله - مال الطفل أو القاصر - أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله. ومصلحة الإسلام عامة لا تـتـقـاصـر عن مـصـلـحـة طفل ، ولا نظر إمام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره.
فهذه ملاءمة صحيحة ، إلا أنها في محل ضرورة ، فتقـدر بقدرها ، فلا يصح هذا الحكم إلا مـع وجـودهـا... وهـذه المـسـألـة نـص عليـهـا الـغـزالي في مواضع من كتبه ، وتلاه في تصحيـحها ابـن الـعـربي في أحكـام الـقـرآن. وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الإمام ، وإيقاع التصرف في أخذ المال وإعطائه على الوجه المشروع"(11).
* رأي ابن حزم: وممن عرض لهذه المسـألـة ، وأيدها بالنصوص الشرعية والحجج القوية الإمام ابن حزم في كتابه العظيم "المحلَّى" ، فقال: "وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا في سائر أموال المسلمين ما يقوم بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة.
برهان ذلك: قول الله - تعالى -: ((وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ والْمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ)) [الإسراء:26] ، وقال - تعالى -: ((وبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً وبِذِي القُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِي القُرْبَى والْجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)) [النساء:36] ، فأوجب تعالى حق المساكين وابـن السبـيـل ومـا ملكت اليمين مع حق ذي القربى ، وافترض الإحسان إلى الأبوين وذي القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين ، والإحسان يقتضي كل ما ذكرنا ، ومنْعه إساءة بلا شك.
وعـن رسـول الله -صـلـى الله عـلـيـه وسلم-: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله" (12).
قال أبو محمد (ابن حزم): ومن كان على فضلة ورأى أخاه المسلم جائعاً عريان ضائعاً فلم يُغثه فما رحمه بلا شك.. وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.."(13) ، ومن تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على إطعامه - فقد أسلمه.

والنصوص من القرآن ، والأحاديث الصحاح في هذا تكثر جداً" (14). ويذهب ابن حزم إلى أن المسلم لا يعتبر مضطراً لأكل لحم الميتة أو الخنزير وهو يجد طعاماً فاضلاً عن حاجة أخيه، وله أن يقاتل للحصول على هذا الفضل ، فيقول: "ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل لحم خنزير أو ميتة وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمي ؛ لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع فإذا كان ذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى الخنزير".
"وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قُتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ؛ لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ؛ قال - تعالى -: ((فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلَى أَمْرِ اللَّهِ)) [الحجرات:9] ، ومـا مـنـع الحـق باغٍ على أخيه الذي له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة"(15).

شبهة مردودة:

وعلى هذا لا يحتج على منع توظيف الأموال بما رواه ابن ماجه عن فاطمة بنت قيس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:"ليس في المال حق سوى الزكاة"(16) ؛ لأنـه قـد ثبت أن هناك حقوقاً أخرى في المال سوى الزكاة،منها: النفقات على الأبوين المحتاجين ، وعلى الزوجة وعلى الرقيق وعلى الحيوان ، ومنها الديون والأروش (ديات الأعضاء) ، وفكاك الأسير ، وإطعام المضطر ؛ فإن هذا قام الإجماع على وجوبه.
والحديث أيضاً معارَض بما رواه الترمذي: »إن في الـمـال حقـاً سـوى الـزكاة« ، ويمكن القول بأنه ليس في المال حق سوى الزكاة بطريق الأصالة ، وقد يعرض ما يوجب فيه حقاً كوجود مضطر ، فلا تناقض بينه وبين الخبر السابق ؛ لما تقرر من أن ذلك ناظر إلى الأصل ، وهذا ناظر إلى ما قد يطرأ فيوجب حقاً جديداً (17).

بين الزكاة والضريبة:

وبناءاً على هذه النصوص أجاز الفقهاء المحدثون فرض ضرائب جـديـدة عـنـد الحاجة إلى ذلك ، فـقـد سئل الشـيخ أبـو الأعلى المودودي - رحمه الله -: مـا هـي وسـائـل الـدخـل للـحـكـومة الإسلامـيـة ، والمـعـروف عـامـة أنه لا ضريـبة في الإسلام إلا الـزكاة والـجزية والخراج؟.
فقال: "من الخطأ القول: إنه لا يجوز في الإسلام أن نفرض ضريبة لسد نفقات الحكومة ، وكـذلك لا يـصـح أن يـقـال: إن الـزكـاة هي ضريـبـة توضع على الناس لتسد بها نفقات الحكومة ، إنما الزكاة مال من أموال التأمين الاجتماعـي. يؤخذ من الأغنياء ليرد إلى من يستحق من الفقراء.
أما حاجات الحكومة فما هي إلا حاجات الجمهور أنفسهم ، فكل ما يطالبون به الحكومة من واجبهم أن يكتتبوا لها من الأموال ما تحقق به مطالبهم" (18).

"فلابد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النـظـام الـتـصاعـدي - بحسـب المـال لا بحسب الربح - يعطى منها الفقراء طبعاً ، وتجبى من الأغنياء الموسـرين ، وتنفـق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة. ومن لطائف عمر - رضي الله عـنه - أنـه كـان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب ؛ لأنه فاكهة الأغنياء في ذلك الوقت ، والضريبة التي لا تُذكر على التـمـر ؛ لأنـه طعام الفقراء ، فكان أول من لاحظ هذا المعنى في الحكام والأمراء - رضي الله عنه" (19).

الشروط والضوابط:

وبذلك تحدد لنا المجال الذي تعمل فيه هذه النصوص السابقة ، ومـدى مشـروعـيـة هذه الفرائض أو الضرائب ، إلا أن ذلك ليس موكولاً إلى هوى الحكام وشهواتهم ، لـيفـرضـوا على الرعية ما تنوء به الكواهل من الواجبات التي تدخل إلى خـزائـن المـتـرفـيـن مـنهـم والمترهلين باسم المصلحة العامة ، كما أنه لا يـجوز فرض هذه الضرائب والخزينة في غنى عـنـهـا ؛ لذلك وضع الـعـلـمـاء شروطاً لابـد من توافرها حتى يصح القول بمشروعية هذه الضرائب ، ومن هذه الشروط:

1- أن تكون هذه الضرائب أمراً استثنائياً تدعو إلـيـه المصلحـة الـعامة للمجتمع ، وتدبيراً مؤقتاً، حسبما تدعو إليه الضـرورة الـتي تـقـدر بقدرها ، ينـتـهي ويـزول بـزوال الـعـلـة والحاجة.

2 - أن يـكـون الـحـاكـم الذي يـفـرض هذه الضرائب عادلاً، تجب طاعته، ليكون في هذا ضمان لعدم الظلم والعسف ، ولتحقيق العدل.

3 -أن لا يكون هناك في بـيـت المال والخـزيـنـة العامة ما يكفي لسد هذه الحاجات ، ولا ينتظر أو يرجى أن يكون شـيء من ذلك ، نظـراً لـلـظـروف الطـارئـة ، وأن يـرد الحـاكـم وحاشيته ما عندهم من أموال فائضة إلى بيت مال المسلمين.

4 - أن يقع التصرف في جباية المال وإنفاقه على الوجه المشروع.

5 -كما يشترط أن تكون أحكام الشرع في تلك الحال نافذة كما يجب ، وحدوده مقامة كما يرضى ، وأن تكون الوظائف في جهاز الحكم بقدر الحاجة ، لا تزيد عليها (20).

هـذا مـا يـسـر الله - تـعـالـى - كتابته في هذا الموضوع الذي يتساءل الناس عن الحكم فيه وللتفصيل والوقائع مجال آخر قـد لا يـتـحمله مـقـال عـاجـل أو مجلة ثقافية عامة. والله الموفق.

الهوامش :

1 - انظر: الملكية في الشريعة الإسلامية ، د.عبد السلام العبادي: 2/285 ، والمرجع المشار إليه هناك.

2- أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة ، 4/197 (مختصر المنذري) ، والدارمي في الزكاة: 1/393 وصححه الحاكم في المستدرك: 1/404 ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن خزيمة ، 4/51 ? والإمام أحمد ، 4/143 ? قال الخطابي: "صاحب المكس هو الذي يعشّر أموال المسلمين ويأخذ من التجار إذا مروا عليه وعبروا به مكساً باسم العشر ، وليس هو بالساعي الذي يأخذ الصدقات. وأصل المكس: النقص.
3 ، 4 - أخرجه أبو عبيد في الأموال ، 703-704.
5 - الخراج لأبي يوسف ، 71 ? وانظر: الأشباه والنظائر ، لابن نجيم ،124.
6 - الخراج لأبي يوسف ، 66.
7 - مقدمة ابن خلدون ، 280-281.
8 - المصدر نفسه ، وانظر الفصل بكامله ، 286-290.
9 - انظر: المستصفى من علم الأصول للغزالي 2 /304-305 ، مطبوع مع مسلّم الثبوت.
10 - انظر: الغياثي للجويني ، 256-273 بتحقيق د.عبد العظيم الديب ، طبعة قطر.
11 - الاعتصام للإمام الشاطبي ، 2 /121-123.
12 - أخرجه البخاري في التوحيد ، 13/385 (فتح الباري) ، ومسلم في الفضائل ، 4/1808-1809.
13 - قطعة من حديث أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، 4/1986.
14- المحلى لابن حزم ، 6/224-227 وانظر بحث الدكتور إبراهيم اللبان في مجمع البحوث الإسلامية ، 1/248 وما بعدها.
15 - المُحلى ، 6/330.
16 - أخرجه ابن ماجه في الزكاة ، 1/570. قال النووي: ضعيف جداً. وقال ابن القطان: فيه أبو حمزة (ميمون الأعور): ضعيف. انظر: فيض القدير للمناوي ، 5/375.
17 - انظر: الملكية في الشريعة ومدى تدخل الدولة في تقييدها لعثمان جمعة ضميرية ، 218-220.
18- نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون للمودودي ، 312-313.
19- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص 405.
20 - انظر بالتفصيل هذه الشروط والوقائع التاريخية ونصوص العلماء في: الغياثي للجويني ، (270) وما بعدها ، والاعتصام للشاطبي ، 2/123 واشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعي ، 123-126 ونظرات في كتاب اشتراكية الإسلام للشيخ محمد الحامد 124-125 ، والملكية في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد السلام العبادي ، 2/294-299 وخطوط رئيسية في

الاقتصاد للأستاذ محمود أبو السعود ، 46 والثروة في ظل الإسلام للبهي الخولي / 224.

دعاة من جِلدتنا

أحمد محمد الفضيل

أنـزل الله الكـتـاب تبـيـاناً لكل شـيء وهـدى وفـرقاناً ورحمة لقوم يوقنون ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ففتح به أعيناً عمياً ، وآذانـاً صـمـاً ، وقـلـوباً غلـفاً ، وبدد بدعوته ظـلـمات الجهل والحماقة ، وأسقط الأغلال التي كانت على العقول ، حتى أمـسـى شـرك الجاهـلـية وضلالهـا أسطـورة غابرة ، وأضحت عبادة الأصنام في ميزان المسلم إفكاً قديماً ، ويعجب المسلم - فيما يعجب - من سخف المشركين من قولهم في تلبيتهم: "لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك!"(1).

سبحان ربي! ، كيف سـوغ الشـيطان هذا السخف لأوليائه ، وزين لهم ما كانوا يفترون ؛ وصدق الله ((مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ ولِياً مُّرْشِداً)) [الكهف:17].

غير أنه يجب أن نذكر دائماً أن الابـتـلاء مستمر ، ومـادة الـشـر بـاقية ، وشياطين الإنس والجن مشمرون في ترويج الضلال ، حتى زخرفوه بكل حلة ، وروجوا له بكل لسان: ((وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإنسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً))[الأنعام:112].

ومن الواجب كذلك أن نتتبع طرق الغي بالتحذير منها ، وكشف مرامـيـهـا وأبـعادها وسد السبل على دعاتها ؛ حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم ، وبصيرة من سبيلهم ، ولا يضرهم انتحال المبطلين ، أو كيد الحاقدين.

ولقد شاعت في دنيا المسلمين فلسفات وأنظمة ؛ خدعت الكثير منا ببـريـقها ، وانـتـشـرت شعارات ومصطلحات أسرت العقول ، واستحوذت على الأفكار ، ووراء ذلك كله داء دوي ، ونار - لو قُدر لها أن تنتشر - لم تأتِ على شيء إلا جعلته كالرميم. وكـان المـسـلـمـون قبلها يتلون كتاب الله ، ويتدبرون آياته ، ولا يخالج أحداً منهم شك في حق التشريع ولا ريب ؛ فالتشريع كله - الحلال والحرام والسياسة ونظم المجتمع - كله لله، حقاً خالصاً من أخص خصائص الألوهية ، كما أن الإقرار به أول طريق العـبـودية ، وكـان المسـلـمـون يعلمون كذلك أن كل سلطان أو إمارة في دولـتـهم إنما يكتـسـب المـشـروعـية ، ويأخذ حق الطاعة من الله - سبحانه - فلا سلطان ولا طـاعـة ولا ولاء إلا لله وأمـر الله وديـن الله ، وكل سلطة من غير هذا السبيل فإنما هي خروج عن التوحيد: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَـابـاً مِّـن دُونِ اللَّهِ

والْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلَهاً واحِداً لاَّ إلَهَ إلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[التوبة:31].
وما كان اتخاذهم أرباباً ، ولا كانت عبادتهم إلا طاعتهم في تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله: ((أَلَمْ تَرَ إلَى الَذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إلَيْكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً))[النساء:60].
وأعظم الناس منزلة عند الله أنبياؤه ورسله ، إنما بلغوا هذه المنزلة السامية بتمام عبوديتهم ، وكمال خضوعهم لله: ((ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْهِ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ ولَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)) [الأنبياء:25-27].
والنبي بريء من كل دعوى تخالف عبوديته ، كما في قول عيسى - روح الله وكلمته - لربه:: ((مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكُمْ)) [المائدة:117].
إذن فالأمة كلها - حاكماً ومحكوماً وأميراً ومأموراً ، وبشتى طبقاتها -ليست إلا مخلوقة لله ، مربوبة مستعبَدة ، والأمر كله لله: ((ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ))[البينة:5].
ثم تسرب إلينا الفكر الصليبي اللاديني (2) ، حاملاً معه خلفيات المعركة التي استعرت في أوربا بين كنيسة ضالة خانت الأمانة ، وسخرت تعاليم السماء لأحط غرائز الأرض ، وبين الشعب الذي لم يَرَ في هذه الكنيسة سوى عقبة تحول دون انطلاقه وتحرره ، وتسومه سوء العذاب، ودخل عالم المسلمين تعبيرات جديدة: سيادة الأمة، حكم الشعب للشعب، الشعب مصدر السلطات ، الدين لله والوطن للجميع ، وتضاربت الأقوال حول هذه المستجدات المصدّرة ، وتباينت كذلك المواقف ، ووقف رجال لم تخنهم البصيرة ، ولم ينقصهم الإخلاص وسط هذه الزلزلة ، وجهروا بالحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بينما تحرك الكثيرون ممن كانوا يحتلون مواقف القيادة الفكرية ؛ لينخرطوا في اللعبة الجديدة ، ودون أن يتفوهوا بكلمة واحدة. ولم يكد رواد العلمانية (اللادينية) ودعاتها يطلقون الطلقة الإعلامية الأولى ضد الدولة الدينية ، والحكومة الدينية ، والحرب الدينية ؛ حتى تحمس الكثير من الكُتاب ، لا ليدفعوا عن أنفسهم الصبغة الدينية ، بل ليقرروا للناس أن. الإسلام برىء من كل دولة دينية وحكومة دينية ، ومن كل ما هاجمه اللادينيون أو وصموه!
وخرج من صفوف المسلمين بعد ذلك أناس حملهم الإخلاص وحفزتهم الغيرة ، يدعون المسلمين للخروج من الأساليب التقليدية ، والتحرر من القوقعة والجمود ، وطلب هؤلاء من المسلمين أن يحافظوا على النظام

الديمقـراطـي العلـمـاني مادام يكفل لهم حرية الدعوة والحركة ، بل رأوا أن من الواجب أن يساهم المسلمون في إقامة هذا النظام إذا لم يكن قائماً ، وكان ذلك من دعاة غيورين ، يتألمون لتقصير المسـلـمـيـن ، مع أنـهـم يعلـمـون أن حرية الأنظمة اللادينية إنما هي حرية مقنّنة مـبرمجة ، وأن الكـل مـتـفـق على وجـوب اتـبـاع سـيـاسـة الـقـهـر والإذلال للـدعـاة، والـوقوف في سبيل الدعوة، ولكن في الوقت المناسب، والشكل المناسب!!!

لقد ثارت أوربا لتدفع اضطهاد الذين حكـمـوها باسم الله، وزعموا للشعب أنهم ظل الله، وسلطانه على الأرض. وحمل الإنسان الأوربي في أعماق شعوره حساسية مدمرة ضد كل ما هو ديني ، أو يمُت للدين. ثم انتقلت عدوى هذه الحساسية المدمرة إلى حس رواد وأتباع اللادين في عالمنا!

وإنما يهمنا في الدرجة الأولى أن يستيقظ المسـلـم المخدوع بهذه الشعارات، والمنوم ببريقـها، نريد أن يعلم المسلم حقيقة التناقض العقَدي بـيـن الـتـوحيد الذي يحملـه في قلبه - ثـم لا يمنعه ذلك أن يسير خطوات بعيدة في سبيل غير سبيله - وبين الـفـلـسـفـة الـكـافـرة الـتـي أنشأها وصنعتها ، ونحن مع الذين يستنكرون الاستغلال بكل أنواعه في استنكارهم دون أن يكون هذا الاستنكار وسيلة تحمل المسلم على التخلي عن إيمانه.

وأما الدساتير التي صُدّرت إلينا فهي نسخة عن دساتير أوربا التي تقول: "دع ما لقـيصـر لقيصر ، وما لله لله" ، قد يضاف إلى بعض الدساتير عـبـارة تـناسـب عـواطف الشـعـوب المسلمة ، حيث يقال لها إن الإسلام دين الدولة ، أو أن الـشـريـعـة مصدر القوانين.

وستجد مَن يوضح لك أن الشعب مصدر السلطات التي ليس فيها حـكـم شرعي ، فسلطانه خارج دائرة سلطة الشريعة!! ، ومع أن كلمة (الشعب) تـتـسـع لـتشمل كـل الـنـوعـيـات الهابطة والرفيعة ، من ذوي الاختصاص والعلم ، وأهل الرعونـة والطيش ؛ فإنك تجد في نص الدستور أن من حق الأغلبية تغيير مواد الدستور ، من خلال الـقـنـوات الـرسـمـيـة ؛ باعتبار الأغلبية تمثل رأي الشعب ، إذن فعندما يقرر الشعب نظرياً - أو الذين يحكـمـون باسم الشعب - أن يغيروا المظاهر الإسلامية في الدسـتور يـكـون هذا الـتـغـيـيـر دسـتـوريــاً وصحيحاً ، ولا معنى للاعتراض عليه. وإذا لاحظنا أن عبارة (الإسلام دين الدولة) عـبارة طارئة على النظام اللاديني (الديموقراطي) ودخيلة عليه ، ومتناقضة مـعـه ، وأن المـعاني التي تحملها هي أقل مواد الدستور قوة وتأثيراً ودوامـاً ، بـيـنـمـا اعـتـبـار الـشعب مصدرا للسلطات ، إنما هو جوهر الديموقراطية - علمنا من ذلك أن اعتبار الإسلام ديناً للدولة لم يأت استمداداً من أمر الله وسلطانه ، بل هو مستند إلى سلطـان الـشـعـب ورأيـه ؛ وبـذلك يجعلون سلطان الله - تعالى -محكوماً بسلطان الشعب ومستـمـداً مـنه ، وبينما كانت تلبية الـجـاهـلـيـة تـضـع سلـطـة أصنامهـا -

نظرياً - دون سلطة الله ؛ إذا بالجاهلية الصليبية الـحـديـثـة تـريـد أن تـخادعـنـا عن ديـنـنا ، وتقودنا إلى جاهلية أشد ضلالاً وانتكاساً من الجاهلية البائدة ، فهل يتنبّه المسلمون لحـقـيـقة الفـتـنة التـي ذر قرنها في ديارهم ، وهل يعيدون الوحدة المفقودة بين العقيدة الإسلامية ، والأصول العلمية والسياسية ، وبين المنهج الرباني في الحركة والتطبيق ؛ ليعود الإيمان وحدة متكاملة في الاعتقاد والعلم والعمل؟!

الهوامش :

1- وردت هذه التلبية حكاية في حديث متفق عليه.
2- وهو ما يُدعى بالفكر العلماني !

شذرات وقطوف

اختيار: مازن محمد راغب

ضرورة العلماء للأمة

الناس بلا علماء هم جُهال ، تـتخطفـهـم شياطين الإنـس والجـن من كل حدب وصوب ، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب ومن هنا كان العلماء من نعم الله - تعالى - على أهل الأرض فهم مصابيح الدُّجى ، وأئمة الهدى ، وحجة الله في أرضه ، بهم تُمحق الضلالة من الأفكار وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس ، فـهـم غيظ الشيطان وركيزة الإيمـان وقـوام الأمـة... وهم ورثة الأنبياء ؛ قال عليه الصلاة والـسلام: "... وإن العـالـم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سـائـر الـكـواكـب ، إن الـعـلـمـاء ورثة الأنبياء". كل هذا الفضل للعلماء العاملين ، الجريئين في الحق ، المحبين للخير ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، المحاسبين للحكام ، الناصحين لهم ، والسـاهـريـن على مصالح المسلمين ، المهتمين بأمور الأمة ، المتحملين كل أذى ومشقة في هذا السبيل.

نعم ، كل ذاك الإكرام للعلماء الـذيـن يحــرسـون الإسلام الأمـنـاء على دين الله الداعين الحكام إلى تطبيقه بلسان صدق وجَنان ثابت.

(عبد العزيز البدري - رحمه الله - في "الإسلام بين العلماء والحكام")

@وحدها فقط

الحضارة الإسلامية وحدها تقوم على التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر ، وتتمثل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرّت من الفضائل التي لا تقوم بغير هاتيك المقومات وغدت منها مفلسة.

واستمداداً من ذلك فإن الحضارة الإسلامية تتحصن بالوحدة والـتـوحد ، وتـتـسـم بالكمال والشمول والذوق والأناقة ، وتستعلي بالألفة والمحبة والانسجام والوئام والطهر والنـظافـة والصدق والقوة وتزهو بالتحرر والحركة والانطلاق الاجتماعي الخيّر في وجهته يقودها إلى الله التزام بطاعته وأخذ بشريعته.

(الدكتور عبد الرحمن الحجي: "جوانب من الحضارة الإسلامية")

الوجوه رسل القلوب

ولا تكثر على ذي الضعف عتباً ولا ذكر التجــرم للذنــوب
ولا تسأله عما ســوف يبــدي ولا عن عيبه لك بالمغيـــب
متـى تـكُ في صديــق أو عــدو تخبرك الوجوه عن القلوب

زهير بن أبي سُلمى

حاجتنا إلى علم الإدارة

سامي سلمان

أصبحت الحاجة إلى الاستعانة بالجوانب الإدارية في كثير من جوانب الحياة أمراً أساسياً ومهماً ؛ إذ إن الأمور لم تـعـد من البساطة بحيـث يستـطيـع الفـرد أن يـعـالجـها بـالطرق التقليدية المعتادة.

وقد أصبح الفرد يعيش في خلايا من العلاقـات المتـشابكة على كل صعيد ، والتـي تـشـمـل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، أو على مستوى العلاقات المحلية والعالمية للهيئات والمنظمات ، ويشتمل كل جانب من هذه الجوانب على جزئيات من الخلايا تشكل - بحد ذاتها - دائرة من العلاقات الـمتـشـابـكـة بـحيـث أصبح جانب معالجة الأمور وإدارتها، ومتابعتها متأثراً في غالب الأحيان بنسبة كبيرة من هذه العلاقـات، وهنا تظهر الحاجة إلى الجانب الإداري الذي يطرح طرق الحل بشكل منظم ومبرمـج ومتكامل، ويلفت الانتباه إلى مسلّمات من نتاج تجارب الآخـريـن تـخـتـصر الـوقـت وتـوفر الجهد، وتعطي نتائج مثمرة وتساعد على تحقيق الأهداف بشكل أفضل.

ولكى يتضح هذا الأمر لابد من تحديد معنى الإدارة بمفهومها البسيط.

فالإدارة عبارة عن: عملية اجتماعية مستمرة ، تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالاً أمثل عن طريق التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة للوصـول إلى هـدف محـدد. وبهذا فـإن الإدارة بمفهومها الشامل لسلوك الفرد تشمل جوانب التصرف السلوكية له في بيته وعمـلـه ودعوته وتجارته، مما يتيح له الاستفادة من الإمكانيات المختلفة أفضل استفادة باستخدام أفضل وسيلة لتحقيق أفضل هدف. فإذا اتضح لك هذا علمت مدى الخسارة التي يتحملها الفرد والجماعة والمؤسسات والدول عند إدارتهم لأمورهم

بالطرق التقليدية التي لا تأخذ باعتبارها مثل هذا المفهوم ، أو قد تأخذ بجوانب منه دون الجوانب الأخرى ، وقد خسر المسلمون كثيراً من مواردهم وطاقاتهم واستخدمت وسائل تقليدية سطحية في إدارة شؤونهم ، وتبع ذلك قصور واضح في تحقيق الأهداف المرجوة... هذا إن كانوا قد وضعوا لأنفسهم أهدافاً عند ممارستهم لأي عمل.

والمثل كفيل بجعـل الأمـر أكثـر وضوحـاً ، ولك أن تقيس عليه أي واقع تشاء على مستوى أسرتك ودعوتك وعملك. وليكن هذا المـثـل مأخـوذاً من مجال الدعوة ، فإن استفادتك من تفهمك واستخدامك لمـفـاهيم الإدارة يعـيـنك في أمـور عـدة ، فـإن من مستـلـزمات الإدارة الناجحة ما يذكره أحدهم في سطور قليلة فيقول: "إن قدرة المسؤولين وأرباب الأعمال على تأمين مناخ عمل ملائم لمساعديهم ومن يعمل تحت إشرافهم للعمل بإخلاص وكفاية عالية - تعد من مؤشرات النجاح في الإدارة. فمناخ العمل الملائم هو المناخ الذي يقود العاملين إلى جعل أهدافهم كأفراد مـتـنـاسقة مع هدف المجمـوعة بحيـث تكون حصيلة تحقيق أهداف المجموعة أكبر من مجموع الجهود الفردية لهؤلاء العاملـيـن وبالـتالي هذا يـعني تحـقـيـق أهداف المؤسسة أو الشركة التي تعمل بها المجموعة".

وعليه فإن من مستلزمات جعْل العاملين من الدعاة في الوسط الدعوي الواحـد أن يهـيَّأ لهم المناخ المناسب للدعوة مما يجعلهم يوحدون جهودهم ويخلصون في تحقيق الهدف ، والعكس الصحيح ، فإن عدم وجود مناخ صحي يثبط العاملين ، ويساعد على نمو الفردية في تحقيق الأهداف ، مما يؤدي إلى عدم تضافر الجهود ، والتأخر في تحقيــق الـهـدف ، وقس على ذلك كثيراً من مفاهيم الإدارة التي تفيدك وتعينك على السير في أمورك بصورة واضحة ومنظمة ، فإنك لو عدت إلى تعريفنا الذي ذكرناه آنفاً سوف تجد أنـنـا اعـتـبـرنا التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة دعائم الإدارة المـتـكـامـلـة ، وأسـتـطـيـع أن أقـرّب لك الصورة لو توسعت في الحــديـث عن كل جـانـب وربـطـه بالأمثلة المختلفة من واقع حياة الأفراد ، وسيظهر لك كم نحـن بحاجـة إلى الـقـيـادات الـتي تخطط وتنظم مسبقاً لتحقيق أهداف مرسومة ثم تقود الجهود بمهارة إدارية متقنة مع وجود الرقابة الدائمة للتأكد من صحة منهج السير رجاء تحقيق الهدف.

وكم عانت الدعوة الإسلامية من إهمال هذا الأمر الذي يـبدو بـدهـياً ولك أن تسأل نفسك هذه الأسئلة:

ألم تعانِ الدعوة من عدم وضوح الهدف؟

ألم تعانِ الدعوة من عدم التخطيط والتنظيم؟

ألم تعانِ الدعوة من فقدان القيادة القادرة على الاستفادة من المصادر المتاحة ، ومن ضعف قدرتها على مراقبة نفسها ومحاسبتها عندما تحيد عن الطريق؟

لقد عكف الكثيرون من علماء الإدارة على رسم خطوط عريضة لجوانب الإدارة المهمة كي يستفيد منها من يتحملون عبء المسؤولية في حياة الأمم ، واستطاعوا من خلال التجربة أن يضعوا نظماً دقيقة مبرمجة لها أثرها الكبير في تسيير الأمور بحكمة وروية ، وإدراك عميق للنتائج ونسوق مثلاً شائعاً في علم الإدارة وهو "اتخاذ القرار" الذي يـصـفـه أحـد الكـُـتاب بقوله: "يعتبر اتخاذ القرار بشكل عام من أهم العناصر وأكثرها أثراً في حياة الأفراد وحياة المنظمات الإدارية ، وحتى في حياة الدول ، وتنبع أهمية هذا الموضوع من ارتباطـه بعـمـل الإنسان اليومي أو حياته العائلية أو أي مجال من مجالات النشاط الإنساني".

فالأفراد هم محور هذا الموضوع الأساسي ، سواء بالنسبة للقيادات الإدارية الـتـي تـتـخـذ القرارات لتوجيه أعمالها ونشاطاتها ، أو بالنسبة للمرؤوسين الـذيـن يـشـاركـون في صـنـع القرارات ، أو في تنفيذها ، أو يكونون هدفاً لها ، كما تنبع أهمية هذا الموضوع من ناحية أخرى من ارتـباطـه بتحقـيـق الأهداف على اخـتلاف أنواعهـا ؛ إذ طـالـما هناك مجال للاختـيـار بـيـن أكثر من بديل للوصول إلى هدف ما كان هناك اتخاذ قرار وذلك باختيار البديل الأفضل ، وهكذا تستـمـر عمـلـيـة اتخـاذ القرارات طالما هناك عمل ونشاط لتحقيق أهداف مطلوبة (1).

وتتضح لك أهمية هذا الجانب إذا نظرت إلى الطريقة المثلى في اتخاذ القرار ، وإن اختلفت المدارس الإدارية في عرضها ، فإن من أساسياتها مراحل متتابعة لضمان السلوك الأمثل في الوصول إلى القرار الأمثل كذلك، وهذه المراحل هي:

1- تشخيص الأمر محل القرار.
2- تحليله ودراسة الجوانب المتعلقة به.
3- طرح البدائل المتاحة لاتخاذ القرار.
4- تقويم البدائل بذكر سلبياتها وإيجابياتها ووزن كل منها على حدة.
5- اختيار القرار الملائم لهذا الأمر.

و لا تتوقف هذه العملية عند هذا الحد ، بل لابـد مـن مـتابـعة تـنفـيـذ القرار لمعرفة مدى النجاح الذي حققه هذا القرار في تحقيق الهدف أو حل المشكلة المعنية ، وقد أوردنا هذا المثل في سياق الحديث عن الحاجة إلى الجانب الإداري في الحياة ، فـلـو عدنا إلى مثالنا السابق في (مجال الدعوة) لوجدنا أن اتخاذ القرار بعفوية وارتجالية شـائـع اتخـاذ الـقرار ويكاد يكون هو القاعدة وما عداه هو الشاذ ، مع عظم شأن مـثـل هـذه الـقـرارات في حـيـاة ومسيرة

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الدعوة ؛ مما قد يؤخر مسيرة الدعوة الإسلامية مـراحـل ومـراحـل ، مع أنـه لو اُستُعين بالمدرسة الإدارية الآنفة الذكر لكان أجدر ؛ فإن مما يعيب قراراتنا أنها لا تـنظر إلى الأمور بشمولية وسعة أفق ،ولا تبحث عن البدائل المطروحة قبل اتخاذ القرار ، ولا ينظر إلى الآثار التي يتركها تنفيذ القرار في الواقع.

وإن المتمعن في نصوص الكتاب والسنة ليلمس وبـوضـوح أمثلـة عديدة لما نـدعـو إليه ، وإن سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها أمثلة كثيرة نرجو أن نوفق إلى عرضها ، والإشارة إليها في المستقبل القريب إن شاء الله.

الهوامش :

1 - اتخاذ القرارات الإدارية ، د. نواف كنعان ، الطبعة الثانية ، عام 1985 م ، ص7.

أدب وتاريخ

إلى أمي.. مع التحية

شعر: عبد الإله عبد الهادي

حماك الله يا أمي وعافاك
من الأوجاع والآلام
وعين الله ترعاك ... وترعانا مدى الأيام
عفا عنا وعنك الله يا أمي وطهرنا من الأخطاء والآثام
فيا أمي أنا الطفل الذي ربته كفاك
وكم سهرت طوال الليل كي ترعاه عيناك
غدا رجلاً بفضل الله يا أمي
وحين تصيح بالأعماق ذكراك
ويشتعل الحشا شوقاً
وهذا الوقت لا يمشي
وأصداءٌ من الأعماق تصرخ بي:
متى رباه تأذن لي؟
متى أماه ألقاك؟
يُرى يبكي ... كطفل ضائع شاكِ
***
أجيء إليك يا أمي بأحلامي
عساكر سادتي الحكام حيث أسير من خلفي وقُدامي
وتفصلنا مسافات بها الأهوال أصنافاً
إذا ما سرت عن بلد رأيت بغيره الأهوال أضعافاً
ففي بلد

إذا جئت الحدود يقال يا أمي..
يُرى في شكله الدين
أعيدوه
فهذا الصنف رجعي وأفيون
وفي بلد تقول عساكر السلطان يا أمي
أتاكم من بلاد الشرك مرتداً فردوه
وإلا فهو مملوك أذلوه
وفي بلد إذا قدمت للسلطات ما طلبوا
يقال: ارجع إلينا بعد شهرين
سنبحث وضعك الأمني في كل الميادين
تزور بلادنا أهلاً ولكن ما هو السبب؟!
لأي منظمات كنت أو ما زلت تنتسب؟!
***
دروب كلها بالشوك والألغام مزروعة
على لوحاتها كتبوا:
هنا مولاي مسموعة
هنا القبلات للأقدام بالقانون مشروعة
قوانين البلاد تحذر الإخوان والأخوات
عليكم أن تراعوا حرمة القانون والعادات
يعاقب من يفكر دون ترخيص من السلطات
يكون مخالفاً من مارس الأحلام والآهات
لذلك فاتقوا الشبهات
دروب الكون مظلمة وتقطعها على الناس الشياطين
وكل الناس في الدنيا مساجين
قد اتفقت على هذا القوانين
إذا ما رحمة نزلت تصادرها القوانين
وإن ثار المساكين
على ظلم يحيق بهم
تسن لهم قوانين
فكيف أسير يا ربي إلى أمي؟!
وتفصل بيننا هذه القوانين
أعوذ بنور وجهك يا إلهى إنها أمي
وهذا الكون أظلم كل ما فيه
دعاة الخير والإصلاح مغلوبون في شتى نواحيه
فأنزل يا إلهي رحمة لتعود للناس الأحاسيس

وينتشر الهدى في الكون ترفع راية الإسلام في كل الميادين
بلا خوف ولا شكوى ولا منةْ
نسير على كتاب الله والسنةْ
طريق واحد يهدي إلى الجنةْ
بلا خلط وترقيعِ
ولا نقص وتفريعِ
فهذا الدين تشريع من المولى
وما في الكون مخلوق له حق بتشريع
يعيش المرء في الإسلام إنساناً
فلا ظلم ولا بخس ولا يشكو الورى رَهَقاً
إذا الناس استقاموا خلف نهج المصطفى صُدُقاً
سقاهم ربهم ماءاً شراباً طيباً غَدَقاً
وعاشوا في نعيم الله في دنيا مثاليةْ
حياة كلها طهر وإيمان وإيثار وحريةْ
فلا عدوان فيها أو أنانيةْ
صباح مساء يا أمي أراك معي بأحلامي
دعاؤك دائم لله يرعاني
يثبتني على الإيمان يحميني
من الآلام والأحزان والهم
أنا منك.. أينسى نبعه الماء؟!
وإن طال الرحيل بنا
وإن عجت بساح الدار أبناء
سأبقى طفلك المشتاق خلف تخوم آفاقي
أحن إليك كالعطشان ليس سواك لي ساقِ
سأبقى موثقاً بقيود أشواقي
إلى أن يأذن المولى بإطلاقي
إذا ما ظل من عمر لنا باقِ
بإذن الله يا أمي بهذا الصيف نلقاكم
ونسعد كلنا بنعيم مرآكم
فيا أحبابنا إنَّا نعيش حياتنا شوقاً للقياكم
إلى أن نلتقي ندعو إله العرش يرعانا
ويرعاكم...

مَن المسؤول

عن كراهية الأجيال الجديدة\ للغة العربية؟!

منصور الأحمد

إذا كنت من محبي هذه اللغة ، ومن الذين يجعلونها همهم في الليل والنهار ؛ فلا شك في أن همك سيزداد ، وشعورك بالقلق سيتضاعف وأنت ترى حال هذه اللغة العظيمة وقد انحدرت على ألسنة أهلها وأقلامهم إلى مستوى لا يسر.

تُرى ، ما الذي أدى بورثة هذه اللغة (ولا أقول: بهذه اللغة) إلى أن وصل حالهم إلى أن لا تواجه طالباً ولا دارساً إلا شاكياً من تعلّمها ، ناعياً على مدرسيها ، مفتخراً بأنه كان لا يعيرها بالاً حينما كان على مقاعد الدراسة؟! وعندما تسترعي انتباهه إلى خطورة ما استهان به يواجهك بإحدى اثنتين ، أو بكليهما معاً :

* باعتذاره بصعوبتها ، وتعقيد نحوها وصرفها ، وجفاف أسلوب تدريسها.

*أو بهز كتفيه غير مبالٍ بما تقول ، وبالتثقل من هذا الموضوع الذي تطرحه معه!

ومع أن مناقشة مثل هذه القضية تحتاج إلى مدى أوسع ، وعلم أغزر ، ومجال غير هذا المجال ، ولكن لا بأس بأن نقول فيها وجهة نظر لعلها تبعث الغيرة وتستنهض الحرص والنظر بجد إليها.

هناك مشكلة ، وهى جهل الكثير من الأجيال الجديدة من المتعلمين بلغتهم ، وهذا ملاحظ لا يُنكر. ويتفرع عن هذه المشكلة أمر آخر - وهو الأشد خطراً - وهو الكراهية لهذه اللغة بحجة أنها صعبة ومعقدة ، ونكران ذلك تجاهل للمشكلة ، وهروب من مواجهتها.

وإذا حللنا المشكلة إلى عناصرها لمعرفة الحل فإننا يجب أن نبحث في ثلاثة عناصر: المدرّس، والمنهج، والطالب ، وكل عيب في واحد من هذه العناصر يساهم بقدر من المشكلة.

* أما المدرس فإن إعداده إعداداً كافياً ومنتجاً يتطلب تغيير الأسس المعمول بها في طول العالم العربي وعرضه في معاهد المعلمين وفي الجامعات من أجل تخريج المعلم ، وإقامة نظام تعليمى يشعر معلم اللغة العربية بقيمته وأثره ، وذلك باختياره وإعداده وتوجيهه لهذه المهمة في وقت مبكر، وعدم إشغاله بدراسة أو تدريس معلومات تصرفه عن المهمة الرئيسية التي صرف إليها.

* وأما المنهج فإن النظر يتعلق بإعداده ثم تطبيقه ، والمناهج الموجودة - وإن لم تكن على مستوى عالٍ من التركيز - لو طُبقت ونُفذت بشكل جدي لكانت النتيجة أفضل مما هي عليه الآن. ومن خلال التجربة يلاحَظ أن العمل الحالي في كثير من البلدان العربية في تطبيق مناهج اللغة العربية - هو

بعيد عن الجدية في التطبيق ؛ حيث إن جهد المدرس المسكين يُستنفد في عمليات حسابية (جمع وضرب وتقسيم درجات الامتحانات) هي أبعد ما تكون عن نفع الطالب أو إضافة أي مردود إلى تكوينه العقلي.

وإن مهندسي هذه العمليات الحسابية هم من المهارة والحرفة بالقدر الذي يجعل أبلد الطلبة وأبعدهم عن فهم العربية يقتنصون (أو تُقتنص لهم) درجة من هنا ودرجتين من هناك بفضل هذه الحيل الحسابية مع أنهم غير قادرين على كتابة فقرة صحيحة!

* وأما الطالب فإن مشكلته أعمق وأكثر تعقيداً ، فالهوة متسعة بين اللغة التي يتعلمها والمجتمع الذي يعيش فيه ، فكل ما حوله ناطق بلغة غير صحيحة: المدرسون (بمن فيهم مدرسو العربية) والبيت ، والراديو ، والتلفزيون ، والشارع... فكيف يستطيع هذا الطالب أن يسبح ضد التيار ويتقن لغة تلقى مثل هذا الإهمال والجحود والاستهانة؟! ، وكيف يقتنع بفائدة ما يتعلمه وهو لا يجد له تطبيقاً معقولاً على ألسنة المتعلمين؟!

لابد من النظرة الجادة التي تتفحص العوائق والأسباب التي تغرس الكراهية لهذه اللغة والبعد عنها ، وإلا فإن هذه الكراهية العملية (ودعْنا من الخطب والإنشاء في الإشادة بهذه اللغة وعبقريتها) سوف تؤدي إلى دفنها ، ويوم تُدفن هذه اللغة فاقرأ على هذه الأمة السلام!

قراءات تاريخية

العلماء والأمراء

الكامل لابن الأثير 10/151
وفيات الأعيان 5/28

كان أبو عبد الله المعتمِد محمد بن عبَّاد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة وإشبيلية، وكان يؤدي إلى (الأذفونش) ضريبة كل سنة، فلما ملك الأذفونش طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد وأرسل إليه يتهدده ويقول له: تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل، وكان رسول الأذفونش في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس وأحضر ابن عباد الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وقتل كل مَن كان معه ولم يسلم منهم إلا ثلاثة نفر؛ فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر ، فبدأ بالاستعداد للقتال.

وسمع مشايخ قرطبة وفقهاؤها بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض، اجتمعوا وقالوا: هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبقَ منها إلا القليل ، وإن استمرت الأحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت. وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد

بن أدهم فقالوا له: ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون مـن الصَّغار والذلة ، وعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها ، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك ، قال: وما هو؟ ، قالوا: نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم ، فإذا وصلوا إلينا قاسمـنـاهـم أموالنا ، وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله ، فقال: المرابطون أصـلح منـهـم وأقـرب إلينا. قالوا له: فكاتبْ أمير المسلمين وارغب إليه ليعبر إلينا.
وقدِم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه ، فقال له ابن عباد: أنت رسولي إلـيه في ذلك. فـسـار إلى أمـيـر المسلمين يـوسـف بن تاشفين فأبلغه الرسالة، وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش.
وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ، ففى الحال أمر بعبور العسكر إلى الأنـدلـس وأرسـل إلى مَرَّاكُش في طلب مَن بقي من عساكره ، فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضاً ، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار ، فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية ، وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلباً للجهاد.
ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة ، وكتب إلى أمير المسلـمـين كتاباً يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد ، فكتب يوسف الجواب في ظـهـره: "الذي يكون ستراه!" وردّه إليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وعلم أنه بلي بـرجـل له عـزم وحزم ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له "الزلاَّقة" من بـلـد (بطـلـيوس) وتـصـافـّا ، وانتصر المسلمون وهرب الأذفونش بعد استئصال عساكره ، ولم يـسـلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة في العشر الأُول من شهر رمضان سنة تسع وسبعـين وأربعمائة ، وأصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته وغنم المسلـمون كل ما لهم من مال وسلاح وغير ذلك، ورجع الأمير يوسف إلى بلاده، والمعتمد إلى بلاده.

@الصيد الثمين عند الباطنية

في قلعة (آلموت) بالقرب من بحر قزوين كان رئيس الباطنية حسن الـصبـاح يـرسـل رجـاله المجرمين الذين أغواهم بفردوسه وغفرانه - يرسلهم وفي يد كل واحد منهم مُـديـة حـادة لاغتيال شخصية سنية مهمة ؛ لأن أقصى أمانيه هو القضاء على أهل السـنة ، وقـد ربـى رجاله على الطاعة العمياء ، فما إن يأمر بتنفيذ مهمة حتى يبادر إليها من يظن أنه يقوم بعمل صالح. وأول صيد ثمين نفذ فيه حسن الصباح إجرامه هو الوزير الـقـديـر نظام الملك الحسن بن علي وزير الملك السلجوقي ألب أرسلان ، وكان من عقلاء الرجال وأفاضلهم وهو الذي تنسب إليه المدرسة النظامية في بغداد ، وكان على علم بأباطيل البـاطنـية وخطرهم على الإسلام وقد بدأ بإعداد الـعـدة لمهاجمـتـهم والقضاء عليهم ، وقـد قـتل أحـد رؤساء حلقاتهم ؛ ولذلك قرروا قتله وهذه رواية كتبهم -لعنهم الله-:

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

"نصب سيدنا (حسن الصباح) فخاخه وأحابيله لتمسك في شباك الموت الفناء قبل كل شيء بصيد ثمين مثل نظام الملك وبهذا الصنيع أصبحت شهرته وسمعته عظيمة وقال: مَن منكم سيخلص هذه الدولة من شر نظام الملك الطوسي ، فوضع رجل يدعى أبو طاهر الأراني يد القبول على صدره ، وفي ليلة الجمعة في الثاني عشر من رمضان لسنة 485هـ وفي منطقة نهاوند جاء بزي صوفي إلى نظام الملك الذي كان محمولاً من مكان العامة إلى خيمة نسائه وضربه بسكين ، ونظام الملك هو أول رجل قتله الفدائيون..
وقال سيدنا: إن مقتل هذا الشيطان هو بداية الغفران"(1).
كانت هذه بداية سلسلة طويلة من الإجرام الباطني طال زعماء أهل السنة من علماء وملوك حتى إنه ما من أمير أو قائد من قواد الدولة السنية إلا وخشي على نفسه وأخذ الاحتياطيات اللازمة.

الهوامش:

1- برنارد لويس: الحشيشية نقلاً عن المؤرخ رشيد الدين ، 62.

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

باكستان وتحكيم الشريعة الإسلامية

إذا كانت الدعوة إلى تحكيم الشريعة قد أصبحت مطلباً ملحاً عند شعوبنا فى جميع بلدان العالم الإسلامي ؛ لا تستطيع وسائل الإعلام العالمية تجاهلها أو التقليل من أهميتها... فلهذه القضية شأن آخر في باكستان المسلمة، التي خاضت صراعاً دامياً مع الهندوس، وقدمت قوافل الشهداء دفاعاً عن دين أمتنا وعقيدتها ، وتوج هذا الصراع المرير باستقلال معظم المسلمين في وطن لهم سمي "باكستان" أي: الأرض الطيبة أو الطاهرة.
وكان جميع سكان باكستان من المسلمين، باستثناء أقلية ضئيلة جداً من الهندوس والسيخ، وبينهم نسبة كبيرة من "المهاجرين" وهم الذين هاجروا من الهند إلى باكستان فراراً بدينهم وبدهي في ظل الأوضاع الجديدة أن تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ، وهذا الذي ينشده الشعب بأسره ، ومن أجل ذلك استعذب الموت في سبيل الله. غير أن الذي حدث في باكستان بعد إنشائها مستغرب أشد الاستغراب ، ومستنكر أبشع الاستنكار ، فالمخضرمون من السياسيين - الذين صنعهم الاستعمار الإنكليزي خلال احتلاله للهند من أمثال آغا خان، وجناح وغيرهما من أفراخ القرامطة - سلكوا سبيل المراوغة والمكر والتضليل، وأخذوا يعدون ولا يوفون، يكذبون ولا يخجلون ، ووجدوا من يحسن الظن بهم ، ويصفق لهم. وزعموا أن خلافاتهم مع العلماء والجماعات الإسلامية سياسية شخصية ، وهي هي النغمة التي يرددها العلمانيون الظلمة هنا وهناك.

واستنفر الإنكليز وعملاؤهم داخل باكستان ، وراحوا يعملون من أجل تربية أجيال لا تؤمن بالإسلام. وفى ظل هذه الأجواء الموبوءة الملوثة وجد القاديانيون الباب مفتوحاً أمامهم على مصراعيه ، وتشكلت الأحزاب العلمانية القومية ، وورث معظم قادتها زعامة أقوامهم وقبائلهم كابراً عن كابر، وكانوا غاية في الخبث والدهاء ، فلا يصدرون تصريحات معادية للإسلام ولا يدعون إلى الإسلام ، ويصرفون جهدهم كله إلى تجنيد أهل إقليمهم في الحزب الذي يخطط من أجل الانفصال عن باكستان، وهــذا الــذي فعله مجيب الرحمن في حزبه الذي لم يكن له وجود يُذكر في باكستان الغربية ، وهـــذا الذي لا يزال يخطّط له عشرات السياسيين في أقاليم مختلفة من باكستان.

وعندما عجز العلمانيون الديمقراطيون عن ضبط الأمور ، وشعر أسيادهم الإنكليز بأن المد الإسلامي يمتد ويقوى ، وفى أجواء الحرية ينهزم دعاة الباطل مهما أنفقوا من أموال ، ومهما ملكوا من وسائل الإعلام ، وينتصر دعاة الحق وإن كانت إمكاناتهم ووسائلهم متواضعة. وكان لابد من خطوة أخرى فأصدر الاستعمار الإنكلو أمريكي أوامر للعسكريين فتحركوا وكان أول انقلاب عسكري يقوده الجنرال أيوب خان ، وفترة الخمسينيات كانت غنية بمثل هذه الانقلابات في مصر والشام والعراق والعقلية واحدة ، والأهداف واحدة ، وكما قلنا في المقال السابق - باكستان أمام التحديات ، الذي نُشر في العدد الرابع من مجلتنا "البيان" - فإن السفير الأمريكى "كافري" عندما أنهى دوره مع عبد الناصر في مصر انتقل إلى باكستان ليبدأ دوره مع أيوب خان ضد الدعاة والجماعات الإسلامية ، وبعد أيوب جاء يحيى ، وكلاهما خان قضية أمته ، وطبع الشعب الباكستاني أنه ينفر من الحكومات العسكرية ، ويعشق الحرية.

وخلال عقدين من الزمن ثبت فشل العسكريين ، ولهذا فقد عادت الديمقراطية ، ونجح حزب بوتو - حزب الشعب - وكان قد زور الانتخابات ، وأقدم على تدبير محاولة اغتيال أحد زعماء المعارضة ، واستغل السلطة أسوأ استغلال ، فعرته المعارضة ، وكشفت فساد نظامه ، وكان الإسلاميون أبرز قادة المعارضة ، وكانوا مع العلماء وغيرهم مرشحين لاستلام السلطة وإسقاط نظام بوتو ، والقضية كانت قضية وقت ، لاسيما وأن الشعب - كل الشعب -كان ينادي بالإسلام ، ويتساءل باستمرار:

- لماذا انفصلنا عن الهند ، وما الفرق بين غاندي وجناح ، أو بين نهرو وأيوب ، أو بين بوتو وراجيف وأمه من قبل؟!

- أين الخلافة الإسلامية التي طالما عملنا وجاهدنا وهاجرنا لقيامها؟!

وأخيراً قام انقلاب عسكري جديد ، وأسقط نظام بوتو ، وقدمه إلى المحاكمة بتهمة اغتيال أحد رموز المعارضة ، ثم نُفذ فيه حكم الإعدام ، ونجح النظام الجديد في استقطاب المعارضة - التي كان معظمها من الإسلاميين - لأنه

أعدم بوتو ، ودعا إلى تحكيم الشريعة الإسلامية ، وهو الشعار الذي يجد رواجاً منقطع النظير في باكستان.
واشترك العلماء والجماعة الإسلامية في أول وزارة ، وأسندت وزارة الإعلام إلى عضو من أعضاء الجماعة الإسلامية ، ووجد الوزير نفسه غريباً في الوزارة ، وكان عليه لإصلاح الوزارة أن يطرد كبار المسؤولين فيها ، ويلغي عدداً من أقسامها ، والنظام العسكري لا يسمح بذلك ؛ ولهذا فقد صدق في الوزير قول الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء!

وبدأ النظام الجديد بإقامة شيء من الحدود ، لكنه تجاهل المرتدين وقُطاع الطرق ، وقادة شبكات النصب والاحتيال - وما أكثرها في باكستان! - ، وعصابات تهريب المخدرات ، وقام بتعزير الصحفيين الذين ينتقدون النظام ، فكان واضحاً أنه يريد أن يطبق من الإسلام ما يخدم النظام ويساعد على استمراره. واشتراك المعارضة في الوزارة يعني أن الغالبية العظمى من الإسلاميين أيدوا الانقلاب الجديد ، ومن قادتهم مَن جاب الأمصار داعياً إلى تأييد الزعيم العسكري ، مشيداً بمناقبه الطيبة ومآثره الحميدة ، وهناك قلة قليلة نوجز موقفهم في النقاط التالية:
1- لم يكن قادة الانقلابات العسكرية من الدعاة إلى الله ، وليس لهم أسبقية في الإصلاح وعمل الخير ، ولا يؤهلهم لهذه المناصب علم شرعي. وفضلاً عن ذلك فقد تربوا في مؤسسات ومعاهد منحرفة ، وعاشوا جزءاً من حياتهم في ديار الغرب يتتلمذون على أيدي أعدى أعداء الإسلام والمسلمين ، ويعاشرون المفسدين من الجنسين. ومن يسبر غورهم يعلم أن من أخص صفاتهم النفاق والغدر ، فترى أحدهم حارساً لطاغوت من الطواغيت ، ينفذ أوامره الظالمة ، ويزين له الإجرام ، ويظهر له الحب والإعجاب والتقدير.. وعندما تسنح الفرصة يبطش بسيده ، ويقود انقلاباً عسكرياً ضده ثم يقدم على إعدامه أو نفيه أو سجنه مدى الحياة ، والإعدام هو الأصل ، ويشن حملة على النظام القديم في أجهزة الإعلام ، ويشيع بين الناس روح الخوف والإرهاب ، ويزعم أنه لا يريد الحكم ، وإنما يريد الإصلاح ، وتمر الأيام ويعلم الناس أنه أشد سوءاً من سلفه ثم يتقدم أحد رفاقه ليقود انقلابًا ضده... وهكذا.
2 - هناك شبه كبير بين الانقلابات العسكرية والحركات الباطنية المسلحة في تاريخنا الإسلامي ، ومن أهم أوجه الشبه ما يلي:
- ليس لهم أسبقية في العمل الإسلامي ولا يعرف الناس عنهم شيئاً لا خيراً ولا شراً.
- يتظاهرون بالورع والتقوى والرغبة في الإصلاح ، حتى إذا وثق الناس بهم بدأوا تدريجياً في تغيير شرائع الإسلام.

- سبيلهم إلى التغيير استخدام العنف والبطش والتنكيل ، ويسهل عليهم إزهاق الأرواح ، وسجن الأبرياء ، وإشعال نيران الفتن.
- لا يتحركون من خلال منهج ، وليس عندهم ثوابت لا يخالفونها ، فتارة يبالغون في تمسكهم بالإسلام ، وتارة يبالغون في الزندقة والإلحاد ، ولا يقبلون أن يحاسبهم أحد أو يسألهم: لِمَ فعلتم كذا وكذا؟!
3 - لا يكون الدين كله لله في الأرض ولا تحكم الشريعة الإسلامية ، إلا إذا قامت نخبة مؤمنة تدعو إلى الله - سبحانه وتعالى - وتجاهد في سبيله ، وتصبر على الأذى.
ولا يكون الدين كله لله في الأرض أيضاً إلا إذا نهض بهذه الدعوة علماء مجاهدون آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ، يلتف الناس حولهم ، ويسمعون لهم ويطيعون.. أما أن لا يكون للعلماء والدعاة والجماعات الإسلامية أي دور في إشادة هذا البناء الضخم في حين يتولاه عسكريون نكرات ، يعجزون عن فهم النصوص الشرعية ، بله الاجتهاد في القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى اجتهاد ، ثم يرفضون إشراك العلماء ، وإذا سألتهم قالوا: لا نعترف بقيادة غير قيادة الجيش. وفى هذه الحال نقول لهم: عملكم هذا يخالف سنن الله في التغيير. ومع أن بعض الصفات التي ذكرناها آنفاً متوفرة عند قادة الانقلاب الذي أطاح بنظام بوتو ، ولو علم الأخير أنهم سـيـغــدرون به لما أبقاهم في الجيش يوماً واحداً ، ومع ذلك فقد سارع الإسلاميون إلى تأييد الانقلاب العسكري ؛ لأن قائد هذا الانقلاب أعلن أنه سيحكِّم الإسلام!.

انقلاب جديد:

في 30/5/1988 ألـقـى الـرئـيــس الباكستاني خطاباً في التلفاز ، تحدث فيه عن الأوضاع الداخلية في باكستان ، وأعلن عن حل "البرلمان" ومجلس الوزراء ؛ لأن رئيس الوزراء فشل في وضع حد للفساد الذي استشرى في الـبـلاد ، وفشل في وضع حد لأعمال العنف العرقية بين المواطنين. وقال: إنه وجد نفسه أمام خيارين: إما أن يبقى صامتاً متفرجاً أو يضع الأمور في موضعها الصحيح ، فاختار الحل الثاني ، لكن ذلك لا يعنى العودة إلى الأوضاع التي كانت قائمة عام 1977م ؛ فالدستور لن يعلق أو يلغى ، ولن يعود قانون الطوارىء ، ولن تفرض الأحكام العرفية ، وستبقى الأحزاب السياسية كما هي تزاول أنشطتها ، ووعد بأن الانتخابات ستجرى خلال ثلاثة أشهر - كما ينص الدستور على ذلك - وكان الحزن بادياً على وجه الرئيس الباكستاني وهو يخطب ، وقد ألغى
زيارة للصين كان من المفروض أن تتم في 30/5 وهو اليوم الذي أعلن فيه انقلابه الجديد ، ثم توالت خطبه في التلفاز:

* فمساء 25/6 خطب ودافع عن قراراته الجديدة وقال: إنه استخدم الصلاحيات التي منحها الشعب والدستور له ، واكد أن قوانين باكستان ونظامها الاقتصادي سوف تتبدل.
* وفي 25/6 خطب خطبة مؤثرة ، وكان يبكي ، ويمسح وجهه وأنفه بمِنديل أبيض كان يحمله في يده ويقول: إننى أخاف الله وأخشاه ، وأعلم أنه سوف يسألني غداً: لماذا لم تحكم الشريعة الإسلامية؟! ، والشعب سوف يسألني: لماذا لم تأخذ على يد الظالم؟!.
وإنه لمنظر مؤثر حقاً أن يشاهد المواطنون رئيسهم على شاشة التلفاز وهو يبكى من خشية الله ومخافة أن يحاسبه في قبره عن عدم تحكيم الشريعة وعن الظلم والفساد - كما يقول - وقال ضياء الحق: إنه آتٍ بفجر جديد ، ويناشد الناس التمسك به ، وذكر أمثلة عن لقاءات تمت بينه وبين فقراء الناس ، واستمع إلى مطالبهم ، ووعد بتوفير مأوى لمن لا مأوى لهم ، وتأسيس صندوق لمنح صَدَاق للنساء الفقيرات اللواتى يرغبن في الزواج ، وأنه سيصنع بالإسلام واقعاً في باكستان لا مثيل له... واتخذ ضياء الحق فور الإعلان عن انقلابه الجديد الإجراءات التالية:
1- شكّل وزارة جديدة في 9/6/1988 برئاسته ، والوزراء مزيج من وزراء حكمه العرفي السابق ، ووزراء كانوا أعضاءً في حكومة محمد خان جونيجو التي قاد ضياء الحق انقلاباً أبيض ضدها.

ومن الأسماء البارزة في الحكومة الجديدة:

- صاحب زاده يعقوب خان ، عيّنه في منصبه السابق نفسه ، وزيراً للخارجية ، وهو من أصدقاء ضياء الحق وكان ضابطاً في الجيش ، كما كان مسؤولاً عن مفاوضات جنيف لحل المشكلة الأفغانية.
- الدكتور حبيب الحق وزير المالية والتجارة وهي الوزارة التي كان مسؤولاً عنها إبان الحكم العرفي في عام 1977.
- وضمت الوزارة زعيمين سابقين من زعماء حزب الشعب الذي كان يتزعمه "بوتو" ، الأول مير هزار خان بجراني والثاني مير أفضل خان كانا عضوين في حكومة الوحدة الإسلامية التي كان يرأسها جونيجو.

وضمت الوزارة عضوين من أعضاء مجموعة معارضة مستقلة في الجمعية الوطنية التي حُلت ، أما بقية أعضاء الوزارة فهم أعضاء في الرابطة الإسلامية.
وكان قد أعلن عن تشكيل الوزارة مساء 9/6 بعد لقاء طويل بين ضياء وحردان شاه الذي كان عضواً في مجلس الشيوخ وكان مستشاراً روحياً - صوفي - لجونيجو ، والشيخ حردان له نفوذ واسع في إقليم "السند" ، وفسر السياسيون هذا اللقاء بأنه عبارة عن صفقة عقدها الرجلان:

الرئيس سوف يستمر في دعم الرابطة الإسلامية ، والشيخ حردان يتخلى عن جونيجو ويقف بإمكاناته كافة مع الوضع الجديد.
2 - ظهرت آثار الانقلاب الجديد على برامج التلفاز التي تملكه الحكومة ، فقد مُنعت الدعايات التجارية التي تتضمن صوراً للنساء في حالات مشينة مثل الرقص والغناء ، وزاد عدد البرامج الإسلامية ، وتم تعيين أشخاص جدد مؤيدين للوضع الجديد ؛ مهمتهم الإشراف على التلفاز ومراقبة تطبيق ما يأمر به القادة.
3 - كان العلماء قد صاغوا مسوَّدة تحكيم الشريعة الإسلامية - في عهد حكومة جونيجو - وكان رئيس الوزراء السابق قد جمد تطبيق هذه المسودة ، وجاء ضياء الحق بعد 30/5/88 ليعلن عن التزامه بتطبيقها ، وفعلاً طبق نظام الصلاة والزكاة ، ووعد بأنه قريباً سيطبق نظام القصاص والدية ، وشكَّل لجاناً كثيرة مهمتها "أسلمة" النظام الاقتصادي والتربوي وقال: إن المهمات الأولية للحكومة الجديدة أسلمة القوانين ، وأعلن في 16/6 أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأعلى للقوانين في باكستان ، وبموجب هذا القرار الجديد يجوز للمحاكم العليا إلغاء أي قانون يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية باستثناء القوانين الدولية ، والاتفاقيات المالية الداخلية المعمول بها حالياً بالإضافة إلى سندات التأمين والصكوك.
4 - أعاد ضياء الـحـق إلى سدة المناصب العليا الجنرالات المتقاعدين الذين كانوا مسؤولين إبــان فــتـرة الأحكام العرفية ما بين عام 1977 وعام 1985م ، وأصبح حكام الأقاليم من الجنرالات ومن أشـدهـم الفريق المتقاعد رحيم الدين الذي عينه حاكماً لإقليم السند ، ومن المـتـوقع أن يــتـخــذ الحاكم الجديد إجراءات صارمة ضد القوميين من سكان السند الذين يطالبون بالانفصال عن بـاكـسـتان - كما حدث في باكستان الشرقية - ويقومون باعتداءات متتالية ضد المهاجرين الذين يقطنون في هذا الإقليم.
وعزل ضياء الحق الدبلوماسـيـين الذين اشتركوا في محادثات جنيف ووقَّعوا الاتفاقية التي بموجبها تم انسحاب السوفـيـيــت من أفغانستان ، وأقال كبار المسؤولين في السلطة الذين كانوا مؤيدين للرئيس جونيجو.

المعارضون:

1- الشيعة: أعلن رئيس حركة تنفيذ الفقه الجعفري "عــــارف الـحـسـيني" أن أتباعه لا يقبلون بالقوانين الجديدة التي وصفها بأنها غير مستكملة وغير مقبولة لدى الشـيـعة. ومن الجدير بالذكر أن الشيعة في باكستان لا يعارضون ضياء الحق ، وإنما يـعـارضـون القوانين الإسلامية السنية ، وإذا كانت هذه القوانين غربية - كما هو الحال - فلا يعارضونها ، ومن جهة أخرى فقد زعم عارف - فيما نقلته عنه صحيفة "إندبندنت" 16/6/1988 - أن عدد الشيعة عشرون

مليوناً ، والحقيقة أن عددهم لا يتجاوز ثمانية ملايين نسمة ، ومن عادتهم تضخيم عددهم ، وعلى الأقل يضربون العدد الصحيح بضِعفه.
2- حزب الشعب الذي تقوده الآن "بي نظير" ابنة علي بوتو ، ومع أن الحزب ضعيف الآن - بعد فقدان رئيسه الذي أعدمه ضياء الحق ، ولأن الرئيس الباكستاني تمكن من شق الحزب واستمال عدداً من كبار زعمائه - مع ذلك فالحزب من أقوى الأحزاب في باكستان ويعطف عليه الغربيون ؛ لأنه علماني ديمقراطي (هكذا يقولون مع أن علي بوتو كان مستبداً ويتلاعب بالديمقراطية) ، ويعطف عليه الشيعة ؛ لأن بوتو من عائلة شيعية ، وهذا سبب تدخل إيران الخميني لدى باكستان من أجل العفو عنه.
ومن المؤسف أن كثيراً من الأحزاب والشخصيات المعارضة اتصلت بالحزب لتنسق معه ضد الإجراءات الجديدة.
3 - استنكرت التجمعات النسوية إجراءات تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، ونظمت مظاهرات في كثير من المدن الباكستانية ، وهذا موقف خبيث كموقف الرافضة ؛ لأنهن بهذه التصرفات يعلنَّ رفضهن للإسلام الذي أباح تعدد الزوجات كما أباح الطلاق ، ولا يسمح الإسلام للمرأة أن تكون رئيسة دولة.
4 - الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء رفضتا "حل البرلمان" ووصف الدكتور خورشيد أحمد - نائب رئيس الجماعة الإسلامية - التحرك بأنه لعبة لتمييع الانتخابات ، وقال: إن قوانين الشريعة فُرضت لحظر الأحزاب السياسية (تايمز 21/6/1988) ، وذكرت بعض صحف باكستان أن أمير الجماعة الإسلامية القاضي حسين أحمد التقى مع بي نظير بوتو مرتين لينسق الموقف معها ضد ضياء الحق ، ولكن أمير الجماعة نفى صحة هذا الخبر ، وقوله عندنا هو الصحيح ، ومما ينبغي التأكيد عليه أن الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء لا ترفضان تحكيم الشريعة ، وحاشا لله أن يفكروا بمثل هذه الأفكار ، ولكنهم يرفضون أسلوب الرئيس الباكستاني بعد أن لُدغوا من جحره مرات ومرات!
وجملة القول: لقد رفضت الأحزاب والهيئات والمنظمات كلها هذا الإجراء اللهم إلا الجهات التالية:
1 - الـصـوفــيـون: وهــؤلاء مـــع كـل حاكم مهما كانت عقيدته والمهم أن يكون حاكماً ، وسيكونون أول من يؤيد النظام الذي يخلف ضياء الحق ، وهذه حال الغالبية العظمى منهم وليس حالهم جميعاً ؛ ففيهم معتدلون زُهاد لا يبيعون دينهم بدنياهم ، ولكنهم قلة.
2 - العسكريون: أعضاء مجلس القيادة، وكبار ضباط الجيش، وطبيعي أن يتظاهروا بتأييد ضياء الحق ولكن من المتعذر معرفة الصادق من الكاذب ، لاسيما وأن منهم رافضة ، وهؤلاء يـخـطــطــون منذ القديم من أجل السيطرة على جيوش بلدان العالم الإسلامي ، وفي جيش باكستان نسبة غـيـر قـلـيـلـة منهم - كما سمعنا - فكيف نأتمن هؤلاء وأمثالهم على تطبيق أحكام الشريعة

الإسلامية؟! بــل كـيــف يركن الرئيس الباكستاني إلى أمثال هؤلاء ويزهد بالعلماء والدعاة والجماعات الإسلامية؟!.

3 - معظم أهل الحديث - وليس جمـيـعـهـم - كان لهم رأي طيب ، قالوا لابد من تأييد الإجراءات الجديدة ، ولكنهم طالبوا بـتـشـكـيــل مجلس من العلماء أهل الحل والعقد في باكستان ، وأن يكون هذا المجلس هو المرجع في كل مــا يــتـعـلق بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وأصحاب هذا الرأي قلة قليلة وهذا لا يضيرهم ولا يقلل من شأنهم.

4 - عامة الناس الذين لا ينتسبون إلى أحزاب أو جماعات ، وهؤلاء تتجاذبهم اتجاهات مختلفة، ولكنهم يتأثرون بما تقوله أجهزة الإعلام في باكستان، لاسيما وأن أجهزة الإعلام تتبنى الإسلام الذي يدينون به.

أما المعارضة الخارجية فهي لا تقل شراسة عن المعارضة الداخلية، والصحف الغربية تقدم لــنــا مثالاً واضحاً جلياً عن هذه المعارضة الظالمة ، فليس فيها إلا الهجوم السافر ، وبيان الـمـثــالــب، وتأليب المواطنين، والدعوة إلى مقاطعة باكستان اقتصادياً؛ لأنها على وشك الإفــلاس ، والصحافة الغربية لا يمكن أن تكون حيادية إذا كانت تتحدث عن الإسلام ، وضــيــاء الـحــق يـبقى صديقاً للغرب مادام يطبق قوانينهم وأنظمتهم ، ويقدمون له الدعم والمساعدة ، أما عـنـدمـا يتحدث عن تحكيم الشريعة الإسلامية فسيتحول إلى رجل مستبد ظالم ، يعيش بعقلية الـقــرون الـوسـطـى! ، ولو أراد الرئيس الباكستاني استمرار صداقته وتــعــاونــه مـــع الغرب؛ فالغرب لا يقبل التعاون، وأول دولة ستعيد تقويم علاقاتها مع باكستان الولايات المتحدة الأمريكية وإن زعمت خلاف ذلك.

والدول المجاورة لباكستان أشد خطورة عليها وأكثر عداوة من الدول الغربية ، بل هي في حــالــة حرب - أو قــريــب من ذلك - مع الهند والاتحاد السوفييتي ونظامه العميل في أفـغـانــسـتان ، وإيران التي تعد من أشد دول العالم كيداً لباكستان ، ولكل دولة من هذه الدول جيوب داخل باكستان ، ولا نشعر أن النظام مدرِك لخطر هذه الجيوب ، ولو كان مدركاً لكان له مـوقــف آخر من النوادي والجامعات ودور النشر والمعاهد والمؤسسات التي تقيمها إيران وعملاء إيران داخل باكستان.

نظرات في تجربة ضياء الحق:

نحن نوافق الرئيس الباكستاني فيما اتهم به رئيس وزرائه ، ولكن من حقنا أن نتساءل: مَن المسؤول الأول عن هذا الفشل؟!

1 - فالرئيس الباكستاني عسكري ، والمطلعون على سياسة دول العالم الثالث يعرفون كيف تتم انتخابات المجالس التشريعية، وكيف يتم اختيار رئيس الوزراء، ولم يكن ضياء الحق خلال هذه الفترة بعيداً عن صنع القرار ، وعندما حل الجمعية الوطنية قالها صريحة: لقد استخدمت الصلاحيات التي منحني

إياها الدستور والشعب.. فلماذا سكت ثلاث سنين عن استخدام هذه الصلاحيات ، ولماذا جاء استخدامها في هذا الوقت؟!
إذن فالقرار الأخير بيده وليس بيد رئيس الوزراء أو بيد الجمعية الوطنية!!.
2 - ومدة حكم رئيس الوزراء حوالي ثلاث سنين ، أما ضياء الحق فمدة حكمه إحدى عشرة سنة ، وإذا سلمنا جدلاً أنه خلال الثلاث سنين الأخيرة لم يكن لديه صلاحيات فماذا فعل خلال ثمانِ سنين؟!
3 - عـنـدمــا جــاء إلى الحكم ، وتحدث عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هلل الناس وكبروا داخل باكــســتــان وخارجها ، وجاب عدد كبير من علماء باكستان وقادة الجماعة الإسلامية الأمصار ليطمئنوا إخوانهم المسلمين ، وصنع هؤلاء دعاية لضياء الحق لا تصنعها أمريكا ولا غيرها ، ولو أنـفـقــت بــلايين الدولارات ؛ لأن المسلمين يثقون بعلمائهم وبقادة الجماعات الإسلامية ، ولا يثقون بالـعـسـكــريين ، لكن الوضع الجديد خذل الناس الذين يدعون إلى تحكيم الشريعة؛ فبعض الأحكام التي سارع في تطبيقها سارع في التراجع عنها. والمسودة التي وضعها العلماء جُمدت ، وانتعش تهريب المخدرات ، وازداد الفقر ، وعمت الرشوة ، وعندئذ علم الذين كانوا يعيشون في أحلام اليقظة أن قادة النظام الجديد يستغلون الإسلام ويتلاعبون بعواطف المسلمين من أجل الوصول إلى الحكم ، وإقامة شعبية لهم ، أما العلمانيون على مختلف أسمائهم ومسمياتهم - فراحوا يستغلون مواقف النظام استغلالاً مؤسفاً ، وكانوا يوجهون سهام نقدهم إلى الإسلام ، وليس إلى الذين يستغلون الإسلام.
4 - إن موقف الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء من الانقلاب الجديد له أسباب مهمة ؛ فرئيس الانقلاب كان بحاجة إليهم عندما أطاح بنظام بوتو، ولهذا اشتركوا في أول وزارة، ووقفوا إلى جانبه ، وكان يستقبلهم ويستمع إليهم وينفذ معظم ما يطلبون ، وبعد أن قوي نظام حكمه استغنى عن خدماتهم ولكن بقي بابه مفتوحاً أمامهم ، وكان يستمع إليهم لكن أصبح يقول لهم: لي شركاء في المجلس العسكري ، ولا أستطيع فرض المواقف والقرارات عليهم! ، وقبلت الجماعة منه هذا الموقف على مرارته ، والمرحلة الثالثة لم يعد الباب مفتوحا أمامهم ، وزعم أن الأمور بيد المجلس الوطني ومجلس الوزراء. وقنع قادة جماعة العلماء والجماعة الإسلامية أن القضية قضية استغلال وتجارة بالإسلام ، فاتخذوا موقفاً متشدداً.
5- كيف يجمع الرئيس العسكري المسلم بين الولاء لله وبين خضوعه للولايات الـمـتـحـدة الأمريكية خلال فترة حكمه كلها، وهو يعلم أن الولايات المتحدة عدوة للإسلام والمسلمين، ويستحيل أن تدعم نظاماً إسلامياً؟! ويعرف ضياء الحق أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي صنعت "إسرائيل" في عالمنا الإسلامي ، لقد دعمته وقدمت له السلاح ، كما قدمت له المساعدات المادية ، ولسنا هنا في صدد الاسترسال في ذكر الأدلة والبراهين على تسخير

الولايات المتحدة لباكستان ، وهذا الموقف مسؤول عنه ضياء الحق - بكل أسف! - وليس جونيجو.

6 - غريب أمر الرئيس العسكري ، فعندما حل المجلس الوطني وأقال الوزارة قال: إنني أستخدم الصلاحيات التي منحنى إياها الدستور ، وعندما عاد إلى الـحـديــث عن تحكيم الشريعة الإسلامية قال: لقد التزمت بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامـيــة عــام 1977 وإن الشعب قد منحني ثقته في استفتاء عام 1984 ويعني أن الشعب منحه صلاحـيــة تـحـكـيم الــشـريــعــــة. فلماذا رضي طيلة أربع سنين أن يحتكم الناس في بلده إلى قوانين جاهلية غربية؟! وماذا كان سيقول لربه لو توفاه الله خلال تلك الفترة ، والشعب قد أدى واجبه - كما يقول - وهو الذي لم ينفذ إرادة الشعب؟!.

ولماذا كان يقول لقادة الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء: إن لي زملاء في القيادة ولا يجوز لي الانفراد باتخاذ القرار مع أن الشعب قد منحه وحده الثقة؟!

الأسباب الحقيقية للانقلاب الجديد:

إن الأسباب التي ذكرها ضياء الحق - والتي دفعته إلى حل الجمعية الوطنية ومجلس الوزراء - ليست مقنعة ، ويصعب الوصول إلى الحقيقة كلها في دول العالم الثالث لاسيما إذا كان الحدث في مراحله الأولى ، وفى باكستان قال ضياء الحق كل ما يريد أن يقوله من خلال خطابه الذي ظـهـر فيه على "شاشة التلفاز" في 30/5 ? أما جونيجو فلم يصدر عنه تــصـريـح يـدافــع فيه عن موقفه، ويبين الأسباب الحقيقية للانقلاب الجديد، والمعارضة مهتمة بالمكاسب التي تعمل على تحقيقها ، وليست مهتمة بكشف أسباب المشكلة.

ومن خــلال تـتـبـعنا للأحداث ترجح عندنا أن ضياء الحق اختار جونيجو كرئيس للوزراء لأنه يعتقد أنه سينفذ كل قرار يقرره العسكريون، وربما كان الأمر كذلك في البداية، ولكن الـرجــل بــدأ يتحرر من هيمنة الجنرالات بعد الانتخابات ، بل بدأ يعمل على الإطاحة بضياء الحق وسنبين الأدلة على ذلك:

1- كانت محادثات جنيف المحطة الأولى في الـصـراع على السلطة بين الرجلين ، فرئيس الوزراء جونيجو كان يـرى أن المجاهـدين الأفـغـان عبء ثقيل على باكستان ، وربما أدى اســتـمــرار وجــودهــم إلى صــراعات داخلية في باكستان، وكان يرى أيضاً أن التفاهم مع الـسـوفــيـيـت أهــم من التعاون مع الأمريكان، وكانت المعارضة ترى رأي جونيجو، وبعد التوقيع على معاهدة جنيف كان جونيجو يخطط لطرد الأفغان من بيشاور وما حولها ، ولم يــكـن ضــيــاء الحق منتبهاً للمكيدة التي يدبرها رئيس وزرائه ، ولكن المجاهدين الأفغان والذين يـؤيدونهم من كبار علماء باكستان أقنعوا ضياء الحق أن طرد المجاهدين يعني هدم الـقــلاع والحصون التي تحُول بين الشيوعيين وباكستان ، فغيَّر موقفه ووعدهم خيراً ، ثم قـام بعزل

الدبلوماسيين الذين اشتركوا في محادثات جنيف بعد إقالة وزارة جونيجو ، أما صاحب زاده يعقوب خان فلعله كان مغلوباً على أمره أو لعله اعتذر لضياء الحق وعلى كل حال فهو صديق من أصدقائه القدامى ، ولهذا أبقاه في وزارة الخارجية.
2 - والمحطة الثانية في الصراع على السلطة: الجيش ، فضياء الحق هو القائد العام للقوات المسلحة ، وجونيجو كان رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ، وفي كل مرة يطلب المدنيون التحقيق في قضية عسكرية كان ضياء الحق يقف إلى جانب الجيش ، وكانت صلاحيات الوزير تتعارض مع صلاحيات القائد الأعلى للجيش.
فالجيش كان واسطة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمجاهدين الأفغان ، وعندما وصلت صواريخ "ستينغر" إلى إيران طلبت الولايات المتحدة من حكومة جونيجو التحقيق في القضية ، وأصابع الاتهام كانت تشير إلى نفر من كبار الضباط وكان أحدهم رافضياً ، فرفض القائد العام ومساعدوه الاتهامات الموجهة للجيش وأحيلت القضية للحفظ. وأثيرت القضية مرة ثانية عندما انفجرت الصواريخ في "روالبندي" و"فيصل آباد" ووقعت كارثة مات بسببها مئات الأبرياء وأحيلت القضية للحفظ.
والقشة التي قصمت ظهر البعير - كما يقولون - جرت في روالبندي في الشهر الخامس أي قبل إقالة الوزارة بأيام ، حيث اعتدى نفر من العسكريين على فتاة فزجرهم المدنيون ، ووقع شجار بين الطرفين ، وحاول "بشير الحسن" - عضو المجلس الوطني عن روالبندي - حل المشكلة غير أن العسكريين اعتدوا عليه في بيته ، وثارت ثائرة أعضاء المجلس الوطني ، واستغل جونيجو القضية وكانت ستطرح في أول اجتماع للمجلس الوطني ، وكانوا مقتنعين بأن رئيس الجمهورية لا يجوز أن يكون قائداً للجيش ، وهذا لو تم سيكون انقلاباً مدنياً ضد العسكريين ، وأصبح من المستحيل تعايش المدنيين مع العسكريين ، وتجاوز جونيجو الحدود المرسومة له ، ولهذا سارع ضياء الحق إلى الإعلان عن انقلابه الجديد.
أما الحديث عن الفساد ، فالأنظمة الديمقراطية كلها فاسدة ، وجونيجو ليس معروفاً عنه الرشوة والفساد ، أما عن تحكيم الشريعة ، فالرجل علماني وضد تحكيم الشريعة وضياء الحق هو الذي اختاره ، ويعرف حقيقته ولو بقي ضمن الحدود المرسومة له لبقي من أعز أصدقاء ضياء الحق.
3 - لا نشك أن ضياء الحق حريص على بقائه رئيساً لباكستان ، فمنذ أن قام بانقلابه الأول عام 1977م وهو صل بطريقة ديمقراطية ذكية من أجل القضاء على كل من يعارض حكمه ، وتفنن في شق كل حزب من الأحزاب ، وفى ضرب الأحزاب ببعضها ، ونجح خلال فترة حكمه في إضعاف هذه الأحزاب ، ومن تركيبة الوزارة الجديدة نعلم ماذا يريد ، لقد استقطب عناصر بارزة من

حزب الشعب ، ومن الرابطة الإسلامية وعناصر مستقلة مؤثرة ، وقد استنفر أجهزة الأمن والاستخبارات لتشاركه في الإعداد للانتخابات القادمة ، ومدة رئاسته تنتهي في عام 1990م ، وقد صرح بأنه سيعلن عن استفتاء عام وصيغة هذا الاستفتاء الآتي: "هل يرغب الشعب في نظام إسلامي وحكومة رئاسية مع بقاء ضياء الحق في الحكم لمدة خمس سنين بعد انقضاء مدة رئاسته في عام 1990"! ، وهكذا فبقاؤه وتطبيق النظام الإسلامي شيء واحد (انظر "أوبزرفر" 3/7/1988).

الموقف النهائي:

بعد هذا التحليل الشامل للأوضاع في باكستان نستطيع تحديد الموقف النهائي في النقاط التالية:

1- عندما قاد ضياء الحق انقلابه الأول كان شخصية مجهولة ومع ذلك أيده الإسلاميون ، وفي عام 1988م لم يعد مجهولاً ، وعلى الرغم من سلبياته الكثيرة فلابد أن نعترف بأنه الرئيس الوحيد في باكستان الذي لم يبطش بالإسلاميين ، ومع أن جواً من الحرية يشمل العمل السياسى بشتى نواحيه منذ قيام باكستان ، لكن مع هذا فإن الإسلاميين يتمتعون بحرية خلال حكمه لا تتمتع بها أية جماعة إسلامية في العالم الإسلامي ، وموقف ضياء الحق من المجاهدين الأفغان لا بأس به ، على الرغم من وجود سلبيات لا يُستهان بها ، والبديل لضياء الحق لن يكون إسلامياً ولن يكون في مصلحة المسلمين.

2 - جماعة العلماء والجماعة الإسلامية تبالغان في تقديرهم لأهمية الديمقراطية والانتخابات البرلمانية على الطريقة الغربية ، وقد تحالفوا في السابق مع أحزاب وهيئات علمانية ، وهم في معارضتهم لضياء الحق عندهم أسباب ومسوغات مهمة ولكن من هذه الأسباب أنه حل المجلس الوطني ، وأنه يخطط لإلغاء الأحزاب السياسية. ونحن نسأل ماذا يحدث لو ألغى الأحزاب والنظام البرلماني الديمقراطي ، والتزم تحكيم شرع الله؟!.

إن الأحزاب السياسية العلمانية الإلحادية يجب أن تلغى في ظل النظام الإسلامي ، والملحد لا حرية له - فرداً كان أو جماعة - فكم نتمنى أن يعيد إخواننا النظر بقناعاتهم في النظام الديمقراطى ، وكم أعجبنا اقتراح بعض الدعاة بضرورة وجود مجلس لأهل الحل والعقد في جميع مناطق باكستان ، وأن تتوفر في أعضاء هذا المجلس الشروط الشرعية الواجب توفرها في أهل الحل والعقد.

3 - لابد من نقد الأسلوب الذي يتبعه ضياء الحق ، والمخططات التي يرسمها ، فهو عندما يتجاهل جماعة العلماء والجماعة الإسلامية ، وأهل الحديث وبقية الجماعات والهيئات الإسلامية يرتكب خطأً فادحاً ، وهؤلاء أساس هذا البنيان الشامخ ، وعندما يجند المرتزقة الذين كانوا مع بوتو وجونيجو -يرتكب خطأً أشد فداحة من الأول ، فالذين خانوا بوتو سيخونون ضياء ، وكذلك الذين خانوا

جونيجو. ليقلب ضياء الحق صفحات التاريخ قليلاً لأننا لا نريد أن نزيده إرهاقاً فليس عنده وقت للقراءة ولذلك نقول ليقلب صفحات قليلة وليسأل نفسه أين الجموع التي كانت تهتف لجمال عبد الناصر من المحيط إلى الخليج؟! ، إن أعز أصدقائه - كالتهامي وغيره - هم الذين يتحدثون عن خيانته... وأين مسيرة المليون التي حملت سيارة النميري في الخرطوم ، هذا المليون خرج متظاهراً ضد النميري!.

إن المجموعات "الإنكشارية" التي يفاخر بها ضياء الحق من المدنيين والعسكريين ستكون أول من ينقلب عليه ؛ لأنها انقلبت على من سبقه وتمتهن الانقلابات وليس أمام ضياء الحق إن كان جاداً هذه المرة - إلا التعاون مع العلماء والدعاة الذين كانوا دائماً مع الإسلام ، وفي سبيل الله سجنوا وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وما زادهم ذلك إلا صبراً واستقامة وثباتاً.

إن أعداء الإسلام داخل باكستان وخارجها ينبلون عن قوس واحدة ، وقد جمعوا جموعهم ، وبدأوا يتظاهرون ويصدرون التصريحات ، وأسيادهم خارج باكستان يمدونهم بالمال والسلاح وأنواع الدعم كافة ، فماذا يفعل ضياء الحق عندما يفاجَأ بأن الأحزاب والباطنيين والعلمانيين والمنظمات والنقابات ضده ، فى حين أن الإسلاميين لا يثقون به؟!

ماذا يفعل عندما يفاجأ بأن أقرب الناس إليه من العسكريين هم الذين ورطوه وهم الذين يعملون في الخفاء مع غيره؟!.

ماذا يفعل إذا قُطعت عنه المساعدات التي تقدَّم له من الدول الغربية التي يسميها صديقة؟!

لقد وصل العجز في ميزانية باكستان إلى "60 بليون روبية" ، وهو ما يعادل 1,7 بليون جنيه إسترليني وارتفعت بعض السلع الأساسية بنسبة 25% ، وبدأت الجهات الدائنة تطالب برفع الضرائب وأجور الخدمات العامة ، وشعوبنا لا تصبر على الجوع ، فأين القاعدة العريضة التي تواجه هذه المشكلات الخطيرة؟!.

إننا في "البيان" نناشد الدعاة والعلماء والجماعات الإسلامية في باكستان أن يتنادوا لاجتماع عاجل يناقشون فيه مصداقية الدعوة الجديدة ، ويستنفروا طاقاتهم كافة من أجل تحكيم شريعة الله ، وأن لا يتحول هذا الشعار إلى تجارة ومزايدات ، ويأخذوا بعين الاعتبار الأخطار الداخلية والخارجية التي تهدد وحدة المسلمين في باكستان ، نناشدهم أن يضعوا مصلحة الإسلام والمسلمين فوق كل مصلحة ، نناشدهم أن يخلصوا نياتهم ، ويتجردوا لله غاية التجرد ، وينطلقوا من ثوابت لا يجوز لأحد من المجتمعين مخالفتها.

ونناشد العلماء والدعاة والجماعات في العالم الإسلامي أن يقفوا مع إخوانهم في باكستان ويمدوا إليهم يد العون والمساعدة قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم!

دلائل انهيار النظام الأفغاني

كنا نتجول في شوارع كابول بسيارة في أعقاب واحدة من بين كثير من سلاسل الانفجارات المدوية وتبادل إطلاق الـنـار الـذي يتخلـل سـاعـات الظلام بشكل منتظم ولا يُعطى تفسير لوقوعه. أوقفت سيارتنا الدبلوماسية وطُوقت من قبل سبعة من رجال (سَرَنْدوي) - الشرطة البرلمانية الأفغانية المكلفة بالدفاع عن العاصمة - ، وتساءل السائق فيمَ إذا كان للمجاهدين دور فيما حصل ، فأجاب قائد وحدة (السرنـدوي) بالنفي وقال إن الحادث يتعلق بشؤون داخلية بحتة ، وبعد تأكد القائد ورجاله من عدم وجود أي أحد على مقربة منهم همسوا بصوت مرتفع بعض الشيء قائلين: "مجاهدين مجاهدين!" ، مزيلين أي شك حول ولائهم لمن يكون.

لقد أدهشنا رؤية انعدام الولاء وبهذا الشكل الصارخ من قبل رجال يُفترض كونهم في طليعة المدافعين عن كابول حال انسحاب آخـر جـنـدي سوفييتي بحلول منتصف شهر شباط من عام 1989م.

يـواجـه نجـيـب الله تهـديـدات عـدة لـيس فقط من قبل المجاهدين ويواجه احتمال قيام انقلاب ضده من جهة القوة الجوية وكذلك احتمال اغتياله.

"تايمز" 27/5/88م

من نتائج الغزو الروسي

قال الجنرال ألكسي ليزيخوف رئيس الجيش ورئيس التوجيه السياسى فـي البحـرية يوم 25/5/1988م إن (13310) جـنـدي سـوفـيـيـتـي قد قُتلوا و(35478) قد جُرحوا و(311) آخرين اعتُبروا في عداد المفقودين خلال ثمان سنوات ونصف من الحرب في أفغانستان .

ذكرت نشرة (سانتا راند) في تقرير لها نشر هذا الأسبوع (20-26/5/1988م) أنـه مـن بـين أهم العوامل التي ساهـمـت في اتـخـاذ قـرار الانسـحـاب هـو الانـتـشار الواسع للمخدرات والإفـراط في تـنـاول الكـحـول مـن قـبـل أفـراد الجـيش، وتدهور الأوضاع الصحية وكذلك الهروب من صفوف الجيش بالاضافة إلى ضراوة المعارك ، ويقول الجنرال ليزيخوف: لقد لعبت هذه العوامل وغيرها دوراً كبيراً في إقناع المـسـؤولين العسكريـيـن السوفـيـيت بسحب قواتهم بعد جهود ثمان سنوات غير مجدية لهزيمة المجاهدين. ويقـول لـيـزيـخـوف: إن انخفاض المعنويات والحوافز كانا سببين وراء انخفاض أداء الجيش السوفيـيـتي ، ويضيف قائلاً : إن السوفييت أدركوا أنه ليس باستطاعتهم تحقيق نصر عسكري ، وإنها المرة الأولى التي يقر فيها السوفييت بالهزيمة!.

لقد لوحظ من خلال المقابلات التي أجريت أثناء إعداد هذا التقـريـر أن نـسـبـة 50% من الجنود السوفييت يتعاطون المخدرات بشكل منتظم بما في ذلك الحشيش والهيروين وأوبيام والمارجوانا. وقد نقل عن أحد الجنـود السوفـيـيـت قـولـه: "إنهم كانـوا يـشـربـون (مـانـع التجميد) المسـتـعـمـل في سـيـارات الـشـحـن والغـراء وزيـت الفرامل. وكانوا يأخذون صبغ الأحذية ويضعونه على قطـعـة مـن الخـبـز ويـتـركون القطعة في أشعة الشمس حتى ينفصم الكحول عن صبغ الأحذية!".
ومن الراجح أن يُحدث الانتشار الواسع للمخدرات ، والإفـراط في شـرب الـكـحـول بـيـن صفوف القوات السوفييتية آثاراً سلبية في المجتمع السوفييتي لفترات طويلة تعـقـب عـودة تلك القوات إلى الاتحاد السوفييتي كما جاء في ذلك التقرير الذي أعد من خلال مقـابـلات أجـريـت مـع قـادة الـمجـاهـديـن و(35) مـكـلـفـاً سوفييتياً سابقاً ممن اشتركوا في القتال في أفغانستان ، بما في ذلك أسرى وهاربين.
لقد أدى غياب المياه إلى أوضـاع صحـيـة مـوحـشـة وإلى انتشار الكثير من الأوبئة كالتهاب الكبد والملاريا والتـيـفـوئـيـد وبشكل واسع جداً. لقد أدت تـلـك الأحـوال إلى حـالات فـرار مـتـكـررة وعـصيـان عـلـنـي بـل ومـنـظم، وقد وقعت بعض حالات انتحار كنتيجة لتدهور المعنويات.
بلغت خسائر أمريكا في فيتنام (58135) قتيلاً ، و(153303) جريحاً ، و(2413) مفقوداً.
"تايمز" 26/5/1988م

اندفاع جديد للمجاهدين الأفغان

منذ بداية انسحاب القوات السوفييتية من أفغانـسـتان في 15 من أيار الماضي سقط في أيدي المجاهدين الافغان أكثر من (100) حامية سوفيـيـتية وأفغانية و(24) مدينة إقليمية ، ذكر ذلك دبلوماسيون في إسـلام آباد. وذكر الدبلوماسـيـون في 21/6/1988م أن مدينة نور غول الواقعة في إقليم كونار الشرقي كانت آخر مدينة تسـقـط في أيـدي المـجـاهـديـن. وفي نهاية الأسبوع الماضي (13-20/6/1988م) ادعى المجاهـدون الـسـيـطـرة على مـديـنـة (كـالات) عاصمة إقليم زابوك الجـنـوبـي ، وتمـثـل كـالات أول عـاصـمـة إقـلـيـمـية تسـقـط في أيدي المجاهدين منذ بدء الانسحاب.
"تايمز" 22/6/1988م

أخبار حول العالم

قال ميخائيل غورباتشوف:
إن المشكلة التي تواجه القوتين العظميين هي التشدد الإسلامي ، وحذر بقوله: " يجب أن نعثر على وسيلة لضبط هذا الأمر ، لأنه إذا انفجر المسلمون في المنطقة كلها فإننا سنحتاج إلى عشرين سنة لتهدئة الأمر".
Wall Street Journal
الثلاثاء 5/7/1988
يوضح هذا التصريح وحدة النظر إلى الإسلام بين طرفين مختلفين ، فالعالم الغربى الصليبي الذي ترأسه أمريكا والعالم الشيوعي الذي ترأسه روسيا - على ما بينهما من خلافات فإنهما - يجدان شيئاً مشتركاً وهو عداوتهم للإسلام والمسلمين وسعيهم للتنسيق فيما بينهم في هذا المجال.
وكلمات: "التشدد" و"التطرف" و"التعصب" لها في لغاتهم ووعيهم أضعاف الأثر السيئ الذي لهذه المصطلحات في لغتنا العربية ، وتثير في أذهان شعوبهم من الخوف والهلع أكثر مما تثيره في أذهان المضللين من شعوبنا.
والشيء الذي ينبغي أن يتنبه إليه هو نظرتهم الظالمة التي تدل على غباء مختلط بإصرار على التعميم في كثير من الأحيان ، وذلك حين ينظرون إلى العالم الإسلامي من خلال إيران ، ولا يعرفون أن تصرفات إيران لا تعكس بالضرورة تصرفات ملايين المسلمين الذين إذا وافقتهم إيران بقول "لا إله إلا الله" ، فإنه يبقى وراء هذه الكلمة من عوامل الخلاف - أصولاً وفروعاً - الشيء الكثير الذي تخالفهم فيه.
فكل أعمال إيران التي يستهجنها الغرب والشرق ويتخذ منها أعداء الإسلام حجة لدمغ الإسلام وشرائعه وأخلاقه بأقذع الأوصاف وأكذب التهم هي وليدة ظروفها وحدها: ماضيها وحاضرها وأرضها وقوميتها وأحلامها.
ولكن متى كان أعداء الإسلام قديماً وحديثاً من صليبيين وشيوعيين وملاحدة ومنافقين يتسمون بالإنصاف في الخصومة والعدل في إطلاق الأحكام؟!.
لسنا ندري - والله - ما الذي يضير أعداء الإسلام من التشدد الإسلامي؟!
هل اقتحم هؤلاء المتشددون - الذين يتداعون إلى حربهم - مدنهم ودولهم؟!
أليست جريمة المسلمين - بنظر هؤلاء - أنهم يرفضون أن يعيشوا في بلادهم عبيداً ، أو أن يروا بلادهم نهباً مشاعاً أو موطئاً لجنود هذه القوى المتجبرة ، ولذلك يصمونهم بهذه الأوصاف المنفرة ، ويحرض بعضهم بعضاً على حربهم والتشهير بهم؟!.

غورباتشوف: لم يتحقق شيء!

في مؤتمر الحزب الشيوعي الذي عقد أخيراً في موسكو 28/6/1988م دعا الأمين العام للحزب ميخائيل غورباتشوف إلى إصلاحات جذرية في الشؤون السياسية والاقتصادية للاتحاد السوفييتي ، فقد انتقد شركات الدولة التي تسببت في شح المواد الاستهلاكية الضرورية ، بينما تكدس إنتاج المواد التي لا يحتاجها الناس ، وطالب بأن يكون الفلاح سيد أرضه وأن تتخلص الدولة من المزارع التعاونية. كما انتقد سياسة ستالين وبريجينيف التي حجرت على الفكر في الاتحاد السوفييتي ، ودعا إلى تقليص سلطات الحزب وأن ينتخب رئيس الدولة بالطريقة المباشرة كما في بعض دول الغرب ، وأن تنتخب الحكومات المحلية باقتراع سري دون تدخل اللجنة المركزية للحزب ، وذكر أن المجلس الأعلى للسوفييت إنما هو مجلس شكلي يؤمّن على القرارات دون مناقشة ، ولابد أن يعطى من السلطات ما يمكّنه من دوره ومن الحد من نفوذ الحزب واعترف الأمين العام أخيراً بأنه بعد ستة عقود من حكم الحزب لم يتحقق شيء!.

تعليق:

هكذا يتراجع الفكر الماركسي بين كل فترة وأخرى ، وتظهر عيوب النظريات التي تحادّ الفطرة ، وتُبنى على الحقد والنظريات الخيالية ، وتصطدم مع حاجات الناس ومعاشهم. يتراجع هذا الفكر ليجد نفسه مضطراً لتقليد الغرب الذي كان يصفه بأبشع الأوصاف ، وليعترف بعد عشرات السنين أنه فاشل وأنه دكتاتوري مستبد ظالم ، فهل يعي هذا الدرس المتمركسون المقلدون للدولة (الأم) ويكفون عن الثرثرة حول الشيوعية والاشتراكية؟! وهل يعي هؤلاء المقلدون أنه بعد عشرات السنين أصبحت الصين أقرب إلى أمريكا منها إلى روسيا ، وأن الطوابير أمام الجمعيات الاستهلاكية أصبحت شيئاً لا يطاق في الدولة (الأم) وأنه بعد عشرات السنين لم تستطع الدولة والثورة إطفاء جذوة التدين عند مسلمي الجمهوريات السوفييتية الذين عانوا من طغيان الشيوعية ما لم يعانِهِ غيرهم ؛ لأن التدين مركوز في فطرة الإنسان ، فلماذا لا يتوب هؤلاء ويعودون إلى الإسلام ، ويعلمون أنه لا حل إلا بهذا الدين؟!

الإيدز يهدد أمريكا
ضحية كل خمس دقائق
مع حلول عام 1993م!

أبلغ مؤتمر دولي لوباء الإيدز يوم 13/6/1988م أنه يتم في أمريكا حالياً تشخيص حالة إصابة بمرض الإيدز كل عشر دقائق. وإذا ما صحت تنبؤات

الخـبـراء فـإن هـذه المـأساة الفردية سـتـسـجـل كل خمـس دقائق في عام 1993م. أما في أوربا فإن الفارق الزمني بين تشخيص حالة وأخرى يزيد قلـيـلاً على ما هو عليه في أمريكا، كما أن عدد الضحايا أقل، إلا أن كارثة مشابهة ستنزل في لـنـدن وباريس وروما ومدريد خلال سنتين ونيف ، كما أعلن في المؤتمر أن عدد حالات الإصابة الحديثة بالمرض التي يتم تشخيصها في كل أسبوع قد بلغ (15) في بريطانيا و(25) في أسبانـيـا و(26) في إيطالـيـا و(33) في فـرنسا ، وقد بلغ عدد حالات الإصابة في أمريكا وحدها 65 ألف بمن فيهم (15) ألف توفوا في العام الماضي و(28) ألف معان شخصت حالات في عام 1987م ، وهو ما يساوي معدل إصابة واحدة كل أربع عشرة دقيقة!.

ويقول الدكتور جيمس كوران العامل في مراكز السيطرة على الوباء في مدينة أتلانتا في ولاية جـورجـيـا أن ما بـيـن ملـيـون إلى ملـيـون ونصف آخرين قد أصيبوا بهذا الوباء ، وحسب تخمينات الدكتور كوران المستقبلية فـإن(41) ألـف حالة جديدة ستظهر هذا العام في حين سيبلغ عدد الذين سيعانون المرض في أمريكا لـوحـدها مع حلول عام 1992 (365) ألف ، هذا وقد توفي إلى الآن نصف المجموع الكلي لمـرضى الإيدز في أمريكا ، وقد بلغت دقة هذه التقارير في الأعوام الماضية نسبة 98%.

هذا ، ويعتبر تناول المخدرات عن طريق زرق الإبـر والـشذوذ الـجـنـسـي عـلـى رأس قـائمة أسباب تفشي هذا الوباء ، كما أن ظاهرة الاتصال الجنسى بين الرجال والنـسـاء والتـي لا يضبطها ضابط تعد سبباً رئيسياً وراء ولادة الأطفال المصابين بـالإيـدز ، أمـا في أوربـا فـقـد سجلـت حالات الإصـابـة بـالمرض ارتفاعاً بنسبة 115% منذ شهر آذار من العام المنصرم ، كما أن عدد المرضى أخذ بالتضاعف كل (11) شهراً.

بأقلام القراء

لقطات من العشر الأواخر

محمـــــد حمـــاد

يسر الله لي الذهاب إلى مكة المكرمة في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك لهذا العام ، وسجلت ذاكرتي هذه اللقطات:

الجهد المبارك :

رغم كبر سنه ، وضعف بنيته إلا أن الله قد منح هذا الشيخ الفاضل طاقة وجلداً قلما تجده عـنـد أكـثـر الـشـباب، وهذا ليس ثناءاً بل هو ما رأيته على مدى عشرة أيام كان خلالها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين كتلة نشاط مستمرة ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ فله درس بين صلاتي التراويح والتهجد ،

ودرس بعد صلاة الفجر إلى ما بعد الشروق ، وفـي العصر يستقبل الأسئلة والفتاوى. ولقد رأيته ما يكاد ينتهي من التسليم في صلاة التهجد بعد كل ركعتين حتى يأتيه المستفتون ولا ينقذه منهم إلا الصلاة!
وحبذا لو أن الشيخ - حفظه الله - بالإضافة إلى جهده العلمي المشكور - كان النصيب الذي يعيره للشباب ومشاكله أكثر ، فهم بحاجة إلى توجيهه ورعايته ، ودمتم لنا يا شيخ محمد.

الكـيـف قـبل الـكـم:

لا شك أن القلب يمتلىء بهجة وهو يرى أفواج المصلين الذين يترددون على المسجد في كل صلاة ، ولكن إذا تمعنا قليلاً رأينا أموراً تقول لنا ألا نتسرع في الحكم ، فالطريق لا زالت طويلة وأن التربية الإيمانية لم تكتمل بعد.
مشهدان ندلل بهما على ما نقول:
المشهد الأول: قبل أذان المغرب: أحد العمال يوزع الأكواب الورقية، تتجمع عليه جماعة من الناس ، ينزعون الأكواب منه بالقوة ، كلهم يريد أن يأخذ أكثر من حاجته ، أحد المزاحمين - وكان قد فاز بكيس كامل من الأكواب يسأله أحدهم أن يعطيه بعضها فيرفض قائلاً : "يا عمي إحنا ما أخذناها إلا بالقوة!!".
المشهد الثاني: تعطلت السلالم الكهربائية بسبب زيادة الحمل ، والمصلون يتزاحمون ورفضوا الانصياع لتوسلات المسئولين بالتريث والانتظام ، وعندما ارتجت الدرجات بهم فزع المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وتدافعوا وتصايحوا ، فهذا يقفز لينجو بنفسه ، وهذا يصرخ. والناس قد أصابهم الذهول. تُرى كيف يفعل هؤلاء عند مواجهة العدو؟!.
قـــال رســول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عــنـدمــا سئل عن سبب تداعي الأمم على المسلمين: هل هو من قلة؟ ، قال: لا ، ولكنكم كغثاء الــسـيــل، يـجـعـل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم بحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت. صحيح الجامع/8035.

من شوارع مانهاتن إلى المسجد الحرام:

إنها نقلة ضخمة وعجيبة ، ولكن ليس ذلك على الله بعزيز ويبقى هؤلاء النفر من المسلمين الجدد مثالاً على قدرة الله ورحمته في هداية الناس ، فمن شوارع وأزقة مانهاتن وحاناتها ، حيث المخدرات والجريمة والضياع (أحدهم تعرَّف على المخدرات وعمره 9 سنوات) إلى الاعتكاف في بيت الله الحرام ، الله أكبر!
أمضيت بعض الوقت مع أحد الإخوة وهو يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان معظم حديثنا عن حال المسلمين في أمريكا الشمالية فأعطاني معلومات كثيرة عن "البلاليين" تختلف عن الفكرة التي كانت لديَّ بناءاً على ما قرأته من قبل عن حال هذه الجماعة الآن ؛ لذلك أتجه إلى مجلتنا الحبيبة

"البيان" لتعطينا تقريراً عن أوضاع هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الإسلامية في أمريكا.
(البيان: نعد الأخ بذلك ونرجو أن نوفق إلى ذلك).

ليلة 27 من رمضان:

يكاد المرء يلمس الروحانية لمساً في تلك الليلة المباركة ، لا مكان في الحرم إلا وفيه عابد لله من طائف بالبيت إلى قائم يصلي إلى قارىء للقرآن.
صحن الكعبة كخلية النحل ممتلىء إلى آخره. مرت لحظات من صلاة التهجد تكاد ترى فيها النور يمتد من المحرم إلى عَنان السماء. إنها لحظات عجيبة تجمع فيها أكثر من مليون ونصف مسلم. ليس على سطح الأرض كل مظاهرة إيمانية كهذه في هذا الوقت.
وتسمع البكاء والنحيب والدعاء المتضرع ولاشك أن كثيراً من المسلمين كان مخلصاً في دعائه الله بالمغفرة ونصرة الإسلام والمسلمين.
ولكن الدعاء وحده لا يكفي ، إن الله كريم جواد قادر على أن ينصر دينه وعباده ولكن سبق قوله - تعالى: ((إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))[الرعد:11] ، لابد من التغيير ولابد من العودة الصادقة إلى الله والإنابة إليه ، لا يكفي الدعاء أو عبادة ليلة واحدة أو شهر كامل ، إذا أردنا أن تقام دولة الإسلام في أرضنا فعلينا أن نقيمها في أنفسنا وبيوتنا وأعمالنا في كل لحظة ، بل في كل يوم ؛ فالرسول -صلى الله عليه وسلم- ما دعا في بدر عندما دخل العريش وأطال وألح في الدعاء إلا بعد أن أعد العدة وجهز الجيش وربى الصحابة.

فلسفة

خالد الخميس

غريبة هذه الحياة كل يوم ينقضي يقربك من القبر. الإنسان فيها يسعى للكمال ، يكافح ويكدح، له آمال وخطط مستقبلية يظن أنه سيخلد، بل لا يفكر في شيء اسمه الموت أبداً؛ لأنه موضوع يأتي له بالوهن والهم ، بل وأيضاً لعدم وجود موقف ثابت منه ، لذلك يحاول الإنسان أن يستبعد هذا المفترس من قاموس حياته اليومية.
ولو أن للإنسان عقلاً رزيناً لفكر في مستقبله الأخير ونهايته الأبدية كيف ستكون. ولنفرض جدلاً أنه لا يوجد حياة برزخية وأخرى أخروية ، والموت نهاية الحياة على الإطلاق. هنا نتساءل ما معنى الحياة إذاً سوى أن تكون لذة انقضت أو شقاء انتهى؟!. ومادام أن هذه اللذة وهذا الشقاء انته فمن العسير أن نسمي هذه لذة وهذا شقاءً ، بل كلها تسمى بالفناء. ومن هذا المنظور لا يصبح للحياة معنى عند عقلاء الملحدين ، أما إذا أدرك المرء أن

هناك حياة أخروية فهنا يتغير المنظور وتتضح عبارة اللذة وعبارة الشقاء ؛ فاللذة ما كانت نعيماً أخروياً، والشقاء ما كان عذاباً أخروياً أيضاً.
((أَفَرَأَيْتَ إن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)))[الشعراء:205-207].

خيبة لأنصار التماثيل!

منصور الأحمد

سوف يكتب مستقبلاً في صفحات التاريخ أنه كان هناك في النصف الثاني من القرن العشرين زعماء يمتطون صهوات الجياد، وقد ناءت أكتافهم وصدورهم بالأوسمة والنياشين مع أنهم لم يخوضوا معركة ولم ينتصروا في ميدان!

وإنه من أجل أن تبقى هذه الصورة المجافية للواقع مطبوعة في عقول الشعوب ، فقد استخدموا كل مقدراتها من أجل ذلك ، ومن ذلك تماثيل باذخة تذكّرنا (برعمسيس الثاني) و (تحتمس الثالث) و(الإسكندر الأكبر) و(يوليوس قيصر) و (جنكيز خان) وغيرهم وغيرهم من هذا الرعيل الملعون. حرص هؤلاء المأفونون على تخليد ذكرهم على أكتاف شعوبهم ، واتخذوا من أفراد محكوميهم مراقي بنوا عليها أمجادهم الكاذبة ، فكم من هواة (الفن) من يسأل نفسه حين يقف مبهوراً مشدوهاً أمام نُصب من هذه الأنصاب: كم كلف هذا الأثر الفني من قوت الشعب، وكم جاعت من أجله بطون ، وعريت في سبيله أجسام ، ولاذت في دائرة النسيان ملايين ، وانتُهكت من أجل تحصيل الضروري كرامات وحرمات؟!.

لكن الله يأبى أن يمتد حبل الكذب إلى غير نهاية ، وأمامنا شواهد كثيرة على هذا، حيث نرى أن تماثيل نصبها أصحابها في كل ميدان مهم أو ساحة في مدينة لتقع عليها العيون أينما اتجهت وحيثما نظرت ، وأرادوا من ورائها غرس المبادىء الغربية في تربة بلادهم على الرغم من مشاعر الأمة التي يحكمون وعقائدها، وابتغوا من وراء هذه الأصنام المنصوبة خلود الذكر في هذه الدنيا ، ولكن ماذا نرى؟!.

نرى أن هذه الشعوب التي تحدوها أهوت على تماثيلهم هذه بالفؤوس والمعاول وداست شظاياها بأقدامها وأمام مرأى من أصحابها في بعض الأحيان (1).

إن دول أوربا التي يقلدها أنصار إقامة الأصنام والتماثيل - ينبع حبها لذلك من جذور ثقافتها وديانتها التي أُخضعت لتأثير الوثنية اليونانية والرومانية من يوم أن دانت بها هذه الشعوب ، وتكرم شعوبها عظماءها بعد أن يرحلوا مخلفين ورائهم شيئاً يستحقون عليه التكريم.

أما نحن ، فلا ثقافتنا وديننا يبيح لنا ذلك ، ولا شعوبنا هي التي تنبري عن طواعية بعد وفاة "العظيم" لتكريمه بهذا الأسلوب ، بل "العظيم" نفسه هو الذي يكرم نفسه ، ويمنحها الشهادات غافلاً أو متغافلاً عن شهادات التاريخ ، والمفارقة الطريفـة أن الـتـاريخ - على الرغم من تدخل أصحاب الرغائب في صياغته - يـفرض مـنطـقـه عـلـى مـرأى مـن هـؤلاء "العظماء" الأدعياء.
ألا ما أسخف عقول الذين يبررون إباحة التماثيل بـأن الإسلام حـرمـهـا حـيـن كان هناك خوف من عبادة الناس لها ، وأمَا وقد انتفى هذا المحذور ببلوغ البشرية سـن الـرشـد فلا بأس بها!
وما أعظم الإسلام حينما جعلها رجساً من عمل الشيطان ، وجعل من ينفـق على إقـامـتـهـا ليس غير جدير بأن يحكم غيره فحسب ، بل حريّ أن يُحجر عليه لسفهـه فلا يقوم حتى على أمر نفسه!

الهوامش:

1 - كما حصل للشاه بالأمس ، ولأبي رقيبة هذه الأيام.

تمت بحمد الله
